العقيدة أولاً

لو كانوا يعلمون

[٤]

جَميع الحقُوق محفوظة

الطّبعَة الأولى
١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م

مكتبة الغرباء
الأردن - عمان
ت: ٠٧٩٥١٨٤٠٥٠

الدار الأثرية
الأردن - عمان
ت: ٠٧٩٥٩٤٣٤٥٦

مكتبة الإمام الذهبي
الإمارات - أبو ظبي
ت: ٠٠٩٧١٥٠٦٨٢٠٢١٢

العقيدة أولاً

لو كانوا يعلمون

مجموعةٌ من الخطبِ والمواعظِ في العقيدةِ
نصحني بها وأَمرني بطباعتِها
والدي وأستاذي وشيخي

محمدُ ناصرِ الدين الألباني

رحمه الله تعالى

حَضَرَها وقَرَأها وقدّم لها فضيلةُ الشيخِ

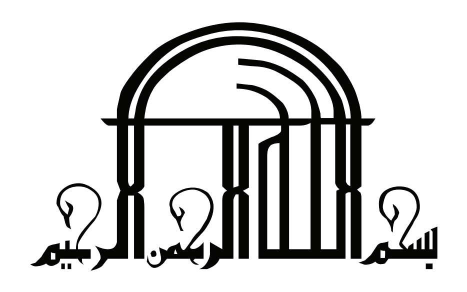
مشهورُ بنُ حسنِ آل سلمان ـ حفظه اللهُ

أعدَّها

«أبو إسلام»
صالح بن طه عبد الواحد
إِمام وخطيب مسجد إبراهيم الحاج حسن
الأردن ـ عمان
ت: ٠٠٩٦٢٦٤٧٨٥٦٩٩

المجلد الرابع

[وصف النار، وأصحابها المجرمون]

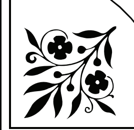

بسم الله الرحمن الرحيم

الرموز المستخدمة في التخريج

خ: صحيح البخاري.
م: صحيح مسلم.
د: سنن أبي داود.
ت: سنن الترمذي.
ن: سنن النسائي.
هـ: سنن ابن ماجه.
حم: مسند أحمد.
حب: صحيح ابن حبان.
خز: صحيح ابن خزيمة.
طب: المعجم الكبير للطبراني.
طس: المعجم الأوسط للطبراني.
طص: المعجم الصغير للطبراني.
ش: مصنف ابن أبي شيبة.
عب: مصنف عبد الرزّاق.
قط: سنن الدارقطني.
مي: سنن الدارمي.
ك: المستدرك على الصحيحين.
فع: مسند الشافعي.
ع: مسند أبي يعلى.
لس: مسند الطيالسي.

خد: الأدب المفرد للبخاري.
هب: شعب الإيمان للبيهقي.
هق: السنن الكبرى للبيهقي.
حل: حلية الأولياء لأبي نعيم.
(ص.ت): صحيح سنن الترمذي.
(ص.د): صحيح سنن أبي داود.
(ص.ن): صحيح سنن النسائي.
(ص.هـ): صحيح سنن ابن ماجه.
(ص.خد): صحيح الأدب المفرد.
(ص.غ.هـ): صحيح الترغيب والترهيب.
(ض.غ.هـ): ضعيف الترغيب والترهيب.
(س.ص): السلسلة الصحيحة.
(ص.ج): صحيح الجامع الصغير.
(ض.ج): ضعيف الجامع.
المشكاة: مشكاة المصابيح.
إرواء الغليل: إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل.
الموسوعة الحديثية: مسند الإمام أحمد.

وصف النار
وأصحابها المجرمون




١٨٥

وصف النار

عباد الله!

قلنا: إن الإنسان بالعقيدة الصحيحة يسعدُ في الدنيا وفي الآخرة، وقلنا أيضاً يا عباد الله: إن العقيدة الصحيحة تقومُ على أركان ستة وهي: الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره، وقد تكلمنا سابقاً يا عباد الله عن الإيمان بالله وملائكته، وكتبه، ورسله، وبدأنا بالحديث عن اليوم الآخر وتكلمنا عن أحوال يوم القيامة وعن مشاهد يوم القيامة، وتبين لنا عباد الله أن الناس في أرض المحشر يكونون على فريقين: فريق في الجنة، وفريق في السعير، فريق السعداء وفريق الأشقياء، فريق وجوههم ضاحكة مستبشرة، وفريق وجوههم سوداء عليها غبرة، يقولُ الله ﷻ: ﴿وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ﴾ [الشورى: ٧]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾ وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾﴾ [هـود: ١٠٣ ـ ١٠٧]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ﴾ [آل عمران: ١٠٦]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾﴾ [عبس: ٣٨ ـ ٤٢].

عباد الله! وقد تكلمنا عن الجنة دار السلام دار السعداء، وتكلمنا عن صفات أهلها سائلين المولى في علاه أن يجعلنا وإياكم من سكانها.

ثم ها نحن يا عباد الله وابتداءً من هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ نبدأ الحديث عن النار دار البوار دار الأشقياء، وعن صفات أهلها ليهلِك من هلك عن بيِّنة ويحيا من حيَّ عن بينة.

عباد الله! ونحن في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ سنكون مع الحديث عن النار، وعن وصف النار، وعن العذاب الأليم الذي أعده الله للعصاة والمجرمين، سائلين المولى في علاه أن ينجينا وإياكم من حرها وشرها إنه ولي ذلك والقادر عليه.

أمة الإسلام! في يوم القيامة والناس في أرض المحشر حفاةً عراةً غُرلاً، الشمس على الرؤوس، الزحام شديد، العرق غزير، وفوق هذا الغم، ومع هذا الكرب كله يؤتى يوم القيامة بجهنم، يقولُ الله ﷻ: ﴿وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَـٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَـٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ﴿٢٤﴾﴾ [الفجر: ٢٣، ٢٤]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾﴾ [الشعراء: ٩١]، ويقول ﷺ: «**يؤتى بجهنم يومئذٍ لها سبعون ألف زمام، مع كل زمامٍ سبعون ألف ملكٍ يجرونها**»[(١)]. هولٌ عظيم! وإذا جيء بجهنم من بعيدٍ، رأت أهلها، عرف المجرمون أنها ما جاءت إلا لهم قال ـ تعالى ـ: ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلسَّاعَةِۖ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾﴾ [الفرقان: ١١، ١٢]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا۟ عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾﴾ [الكهف: ٥٣]، أي: أيقنوا أنهم واردوها.

عباد الله! إذا جيء بجهنم وبرزت الجحيم للغاوين، يقالُ للمجرمين إذا نظروا إليها يومئذٍ ـ توبيخاً وتقريعاً ـ: هذه النار يا معشر الكفرة، هذه النار يا أكلة الربا، هذه النار يا شاربي الخمر، هذه النار يا قاطعي االأرحـــام، ﴿هَـٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾ أَفَسِحْرٌ هَـٰذَآ أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿١٥﴾ ٱصْلَوْهَا فَٱصْبِرُوٓا۟ أَوْ لَا تَصْبِرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْۖ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ

---

(١) **صحيح**: م: (٢٨٤٢).

تَعۡمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الطور: ١٤ ـ ١٦]، يقال لهم: ﴿هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱصۡلَوۡهَا ٱلۡيَوۡمَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [يس: ٦٣، ٦٤]. عندها يتمنى المجرم، يتمنى العاصي يومئذ لو يفتدي من عذاب جهنم ببنيه، بصاحبته ـ أي: زوجته ـ وأخيه، وفصيلته التي تُؤْويه ومن في الأرض جميعاً ثم ينجيه، فيقال له: كلا؛ فلا فدية يومئذ. كلا إنها لظى، كلا يا آكل الربا إنها لظى، كلا يا تارك الصلاة إنها لظى، كلا يا قاطع الرحم إنها لظى، كلا يا من عصيت الله ورسوله إنها لظى، إنها نزاعة للشوى، تدعو من أدبر وتولى وجمع فأوعى.

عباد الله! هذه جهنم التي يخوفُ الله بها عباده يا عباد فاتقون، فاتّقوه سبحانه وتعالى حقّ تُقاته، واخشوا ناره وعذابه. يا عبد الله! أما طعام أهل النار فهو الزقوم، أيها العاصي، أيها المصرُّ على محاربة الله، طعام أهل النار الزقوم، وما أدراك ما الزقوم؟! يقول الله ﷻ: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلۡأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلۡمُهۡلِ يَغۡلِي فِي ٱلۡبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلۡيِ ٱلۡحَمِيمِ ﴿٤٦﴾﴾ [الدخان: ٤٣ ـ ٤٦]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمۡ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلۡمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَأٓكِلُونَ مِن شَجَرٖ مِّن زَقُّومٖ ﴿٥٢﴾ فَمَالِـُٔونَ مِنۡهَا ٱلۡبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَٰرِبُونَ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَٰرِبُونَ شُرۡبَ ٱلۡهِيمِ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نُزُلُهُمۡ يَوۡمَ ٱلدِّينِ ﴿٥٦﴾﴾ [الواقعة: ٥١ ـ ٥٦].

وأما شراب أهلها يا عباد الله فهو من الحميم والصديد، وما أدراك ما الحميم وما أدراك ما الصديد؟! يقول الله ﷻ: ﴿وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمٗا فَقَطَّعَ أَمۡعَآءَهُمۡ﴾ [محمد: ١٥]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَاۚ وَإِن يَسۡتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٖ كَٱلۡمُهۡلِ يَشۡوِي ٱلۡوُجُوهَۚ بِئۡسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتۡ مُرۡتَفَقًا ﴿٢٩﴾﴾ [الكهف: ٢٩]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسۡقَىٰ مِن مَّآءٖ صَدِيدٖ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ﴾ [إبراهيم: ١٦، ١٧].

وأما لباسهم، فأهل النار وهم في النار يلبسون الثياب، ولكن انظر أيها العاصي أيها المجرم، يا من رضيت بالدنيا عن الآخرة ما هو لباسهم؟ إن لباسهم النار والقطران، يقول الله ﷻ: ﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ

﴿قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ﴿١٩﴾﴾ [الحج: ١٩]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ النَّارُ ﴿٥٠﴾﴾ [إبراهيم: ٥٠].

إذاً، فالزقوم طعامهم، والحميم والصديد شرابهم، والنارُ والقطران لباسهم، فهل تقدرُ على هذا العذاب يا ابن آدم يا أيها الضعيف؟ يا مَنْ رضيت بالدنيا الدَّنِيَّة عن الآخرة؟ يقول الله ﷻ: ﴿أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [التوبة: ٣٨]. فهي إما جنة أبداً، وإما نارٌ أبداً، بل وفوق هذا العذاب يزيدهم الله عذاباً في نار جهنم، لأنهم حاربوا الله ورسوله، ولأنهم عصوا الله ورسوله، قال ـ تعالى ـ: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [النحل: ٨٨]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ﴾ [الكهف: ٢٩] لا مفر لهم ولا مخرج من النار، فهي عليهم مؤصدة مغلقة فلا يستطيعون الهروب، ولا يستطيعون الخروج، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَا وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا ﴿٤﴾﴾ [الإنسان: ٤]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ ۗ﴾ [النساء: ٥٦]. وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ مِّن وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّاءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ۖ وَمِن وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾﴾ [إبراهيم: ١٦، ١٧]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾﴾ [الحج: ١٩ ـ ٢٢]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [العنكبوت: ٥٥]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ ۚ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ ﴿١٦﴾﴾ [الزمر: ١٦]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾﴾ [القمر: ٤٨].

ابن آدم! يا أيها المسكين أتطيق هذا العذاب؟! أتتحمل هذا الضنك؟ أتقدر على هذا العذاب؟!، أظن أنك الآن تقول: لا، إذاً فأين النجاة؟ وأين المفرّ؟ ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥٠ وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥١﴾ [الذاريات: ٥٠، ٥١].

عباد الله! هذه هي النار وهذه بعض أوصافها، فتعالوا معي، واسمعوا إلى أهلها ماذا يقولون؟ وماذا يطلبون؟ وماذا يريدون؟ والعاقل من اتعظ بغيره. إن أهلَ النار وهم في النار يلعن بعضهم بعضاً كما قال ـ تعالى ـ: ﴿يَوۡمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيۡتَنَآ أَطَعۡنَا ٱللَّهَ وَأَطَعۡنَا ٱلرَّسُولَا۠ ٦٦ وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعۡنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ٦٧ رَبَّنَآ ءَاتِهِمۡ ضِعۡفَيۡنِ مِنَ ٱلۡعَذَابِ وَٱلۡعَنۡهُمۡ لَعۡنٗا كَبِيرٗا ٦٨﴾ [الأحزاب: ٦٦ ـ ٦٨]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿قَالَ ٱدۡخُلُواْ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ فِي ٱلنَّارِۖ كُلَّمَا دَخَلَتۡ أُمَّةٞ لَّعَنَتۡ أُخۡتَهَاۖ﴾ [الأعراف: ٣٨].

إن أهل النار وهم في النار معترفين بذنوبهم مقرِّين بها، ويطلبون من الله الخروج من النار ليعملوا صالحاً، قال تعالى عن أهل النار: ﴿قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثۡنَتَيۡنِ وَأَحۡيَيۡتَنَا ٱثۡنَتَيۡنِ فَٱعۡتَرَفۡنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلۡ إِلَىٰ خُرُوجٖ مِّن سَبِيلٖ ١١﴾ [غافر: ١١]، آلآن اعترفتم يا معشر العصاة بذنوبكم؟! آلآن وقد كنتم في الدنيا تبارزون الله في المعاصي، ﴿فَٱعۡتَرَفۡنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلۡ إِلَىٰ خُرُوجٖ مِّن سَبِيلٖ﴾ [غافر: ١١]، ﴿رَبَّنَآ أَبۡصَرۡنَا وَسَمِعۡنَا فَٱرۡجِعۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ١٢] ﴿رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُۚ﴾ [فاطر: ٣٧]، ﴿رَبَّنَا غَلَبَتۡ عَلَيۡنَا شِقۡوَتُنَا وَكُنَّا قَوۡمٗا ضَآلِّينَ﴾ [المؤمنون: ١٠٦]، ﴿رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡهَا فَإِنۡ عُدۡنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ١٠٧﴾ [المؤمنون: ١٠٧]، يقالُ لهم: ﴿ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون: ١٠٨]، أهل النار يطلبون من الله أن يخفِّف عنهم من العذاب، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَنَادَوۡاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقۡضِ عَلَيۡنَا رَبُّكَۖ﴾ [الزخرف: ٧٧] فيأتيهم الجواب بعد ألف سنة ﴿قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ﴾ [الزخرف: ٧٧].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِي ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ

يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۚ قَالُوا۟ فَٱدْعُوا۟ ۗ وَمَا دُعَٰٓؤُا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿٥٠﴾﴾ [غافر: ٤٩، ٥٠].

إن الله لا يظلمُ الناس شيئاً، ولكن الناس أنفسهم يظلمون، والنارُ للعصاة جزاءً وفاقاً ولا يظلمُ ربك أحداً، ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا ﴿٢٢﴾ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَآءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ كِتَٰبًا ﴿٢٩﴾ فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾﴾ [النبأ: ٢١ ـ ٣٠].

عباد الله! هذه هي النار التي يخوفُ الله بها عباده، هذه هي جهنم التي من نجا منها يوم القيامة وأدخل الجنة فقد فاز ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

عباد الله! والله ﷻ من رحمته بعباده حذرهم من النار، حتى لا يكون للناس على الله حجة، فلقد حذرنا الله من النار وخوفنا منها ووصفها لنا لنفر منها إلى الله، لنكون من أصحاب الجنة، قال تعالى محذراً عباده المؤمنين من النار: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾ [التحريم: ٦].

فيا تارك الصلاة، هل نَجَّيت نفسك من النار؟ ويا آكل الربا هل نجيت نفسك من النار؟ ويا أيها القاطعُ للرحم هل خلصت نفسك من النار؟ ويا أيها المبارزُ لله بالمعاصي هل خلصت نفسك من النار؟

يا معشر العصاة، هل نجيتم أنفسكم من النار! عباد الله، ﴿قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾، يا أيها العاصي، يا من جئت لأولادك بالمفسديون في البيت، يا من وضعت (الستلايت) على ظهر البيت، هل نجيت بذلك أولادك من النار؟ إنك بفعلك هذا غاشٌّ لرعيتك وكلٌّ منّا راعٍ ومسئول عن رعيته يوم القيامة، فهل أنت بذلك نجيت أولادك من النار؟! يا من تركت أولادك بالليل والنهار لجمع الدنيا بينما تركتهم يتربون على أيدي

الخادمات، وعلى نواصي الشوارع، وفي أماكن العصاة والمجرمين، فهل نجيت أولادك من النار؟ إذا سئلت يوم القيامة عن أولادك وقد دخلوا جهنم فماذا عساك تقول لربك يوم القيامة وقد قال لك من قبل: ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارًا﴾؟ وقال ـ تعالى ـ: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُۖ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤]، وقال تعالى محذراً من النار ﴿فَأَنذَرۡتُكُمۡ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾﴾ [الليل: ١٤]. ورسولنا الكريم ﷺ حذر أمته من النار، وخوفهم من النار، يقول أبو هريرة رضي الله عنه: لما نزلت هذه الآية: ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ [الشعراء: ٢١٤] دعا رسول الله ﷺ قريشاً فاجتمعوا، فعمَّ وخصَّ. فقال: «**يا بني كعب بن لؤي! أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني مرة بن كعب! أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد شمس! أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد مناف! أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني هاشم! أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار، يا فاطمة أنقذي نفسك من النار، فإني لا أملك لكم من الله شيئاً، غير أن لكم رحماً سأَبُلّها بِبِلَالِهَا**»(١).

أمة الإسلام! اعملوا ما شئتم، إنه بما تعملون بصير، ويوم القيامة ستقفون على الميزان: ﴿فَمَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ وَمَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلۡفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمۡ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [المؤمنون: ١٠٣، ١٠٤]، ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾ [الزلزلة: ٧، ٨]، ولا يظلمُ ربك أحداً.

اعملوا ما شئتم فإن الله عز وجل يحصيه عليكم ويوم القيامة ينبئكم بما عملتم، ﴿أَحۡصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُۚ﴾ [المجادلة: ٦]، فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومنَّ إلا نفسه.

اللهم نجِّنا مِنَ النار

---

(١) **صحيح**: م: (٢٠٤).

١٨٦

حال المجرمين في أرض المحشر وحالهم في النار التي أُعدَّت لهم

عباد الله!

وصلنا في الحديث عن العقيدة الصحيحة إلى الإيمان باليوم الآخر وتبين لنا عباد الله أن الناس في أرض المحشر فريقان: فريق في الجنة، وفريق في السعير، وقد تكلمنا عن الجنة وعن صفات أهلها سائلين المولى في علاه أن يجعلنا وإياكم من أهلها.

وبدأنا بالحديث عن النار، وتبين لنا عباد الله أن الله أعد لأهلها عذاباً أليماً، فطعامهم فيها الزقوم، وشرابهم فيها الحميم والصديد، ولباسهم فيها النار، ﴿لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾ [الزمر: ١٦]، ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ﴾ [النساء: ٥٦]، ﴿كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا﴾ [الإسراء: ٩٧]، وهم من شدة العذاب يصرخون فيها، ويدعون على أنفسهم بالويل والثبور، ويلعن بعضهم بعضاً، ومن شدة العذاب يقول أهل النار: ﴿رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ١٢]، ويقولون: ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ﴾ [فاطر: ٣٧]، ومن شدة العذاب يقولون: ﴿رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾ [غافر: ١١]، ومن شدة العذاب يقولون: ﴿رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾﴾ [المؤمنون: ١٠٦، ١٠٧]، فيقال لهم: ﴿ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون: ١٠٨].

إخوة الإسلام: أتدرون لمن أعد الله هذه النار؟ لقد أعدّها الله

للمجرمين الذين بارزوا الله بالمعاصي في هذه الدنيا وماتوا وهم مصرُّون عليها.

فالإنسان يوم القيامة إما أن يَلْقى اللهَ مؤمناً فيكون مع المؤمنين في جنات النعيم، وإما أن يلقى الله مجرماً فيكون مع المجرمين في سواء الجحيم، يقول الله ﷻ: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَأۡتِ رَبَّهُۥ مُجۡرِمٗا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحۡيَىٰ ٧٤ وَمَن يَأۡتِهِۦ مُؤۡمِنٗا قَدۡ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلۡعُلَىٰ ٧٥ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ٧٦﴾ [طه: ٧٤ ـ ٧٦]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡ رَهِينَةٌ ٣٨ إِلَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلۡيَمِينِ ٣٩ فِي جَنَّٰتٖ يَتَسَآءَلُونَ ٤٠ عَنِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ٤١ مَا سَلَكَكُمۡ فِي سَقَرَ ٤٢ قَالُواْ لَمۡ نَكُ مِنَ ٱلۡمُصَلِّينَ ٤٣ وَلَمۡ نَكُ نُطۡعِمُ ٱلۡمِسۡكِينَ ٤٤ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلۡخَآئِضِينَ ٤٥ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ ٤٦ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلۡيَقِينُ ٤٧ فَمَا تَنفَعُهُمۡ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ٤٨﴾ [المدثر: ٣٨ ـ ٤٨]. ويوم القيامة يقف العبد بين يدي ربه للحساب وللجزاء ثم ينصرف، إما إلى الجنة مع المؤمنين، وإما إلى النار مع المجرمين، ولذلك يقول القائل:

ابن آدم!

مَثِّلْ وقوفَكَ يومَ العرض عُريانا ... مُستوحشاً قَلِقَ الأحشاءِ حيرانا

والنارُ تلهبُ من غيظٍ ومن حنقٍ ... على العصاةِ وربُ العرش غضبانا

اقرأ كتابك يا عبدي على مَهَلٍ ... فهلْ ترى فيهِ حَرْفاً غيرَ ما كانا؟

لـما قـرأتَ ولـمْ تُـنكـرْ قـراءتـه ... إقرار مَنْ عرفَ الأشياءَ عِرْفَانا

نادى الجليلُ: خذوهُ يا ملائكتي ... وامضوا بعبدٍ عصى للنار عطشانا

المجرمون غداً في النار يلتهبوا ... والمؤمنون في دار الخلد سكانا

فمن أي الفريقين أنت يا عبد الله؟

المجرمون غداً في النار يلتهبون ... والمؤمنون في دار الخلد سكانا

أمة الإسلام! وإذ تبين لنا أن النار قد أعدها الله للمجرمين فتعالوا بنا ننظر إلى أحوال المجرمين في أرض المحشر منذ أن يُنفخ في الصور إلى

أن يؤخذ بهم إلى النار، ليهلِك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينة، والعاقل من اتعظ بغيره، فانظروا من خلال الكتاب والسنة إلى أحوال المجرمين يوم القيامة.

أولاً ـ حال المجرمين إذا نفخ في الصور:

قال ـ تعالى ـ: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ يَتَخَٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾﴾ [طه: ١٠٢، ١٠٣]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيْرَ سَاعَةٍۚ كَذَٰلِكَ كَانُواْ يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِۖ فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [الروم: ٥٥ ـ ٥٧]. هذا هو مقدار الدنيا يوم القيامة: ساعة! إذا أجرمت فيها يا عبد الله، أُلقيت في جهنم إلى أبد الآباد، وإن هذا لهو الخسران المبين.

ثانياً ـ حال المجرمين إذا وقفوا عند ربهم للحساب وللجزاء:

انظروا إليهم وقد نَكَّسُوا رؤوسهم من الذل والهوان، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾﴾ [السجدة: ١٢]، يقال: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَأٓتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾ فَذُوقُواْ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمْۖ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾ [السجدة: ١٣، ١٤]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭۚ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَاۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًاۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾ [الكهف: ٤٨، ٤٩].

ابن آدم! سيقف المجرمون يوم القيامة أمام ربهم ﴿وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا﴾ فلا تسمعُ لهم همساً، لقد خشعت الأصوات للرحمن، ﴿وَعُرِضُواْ عَلَىٰ

رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾، تأمّل يا ابن آدم كيف جئت إلى هذه الدنيا عرياناً كيوم ولدتك أمك لا تملك من الدنيا شيئاً؟ ثم امتلكت الكثير منها، وها أنت يا مسكين تخرجُ منها عريانَ كيوم ولدتك أمك، ﴿لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الكهف: ٤٨]، فكّر يا ابن آدم ماذا ستأخذ معك مالاً، سلطاناً، جاهاً صحة، زوجاً، ولداً، عشيرةً؟، ـ ﴿لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا﴾ [الكهف: ٤٨]. ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ﴾، الكتاب، الذي تُسجلُ فيه الأعمال لتقرأ يا ابن آدم كتابك فهل تجد فيه غير ما كان، ـ ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الكهف: ٤٩] ـ، نعم لقد سُجِّل فيه الصغيرة قبل الكبيرة. ومع كل هذا، انظروا إلى أحوالنا اليوم. فإنك إذا سألت أحدهم: لِمَ حلقت لحيتك يا ابن آدم؟ قال لك: إن إعفاءها سنة!!، لم تركت صلاة الجماعة؟ قال لك: إنها سنة!! لم سمحت لزوجتك بالتبرج؟ قال لك: حرِّية، لِمَ تدخن؟ قال لك: إن التدخين مكروه!! لم أكلت الربا؟ قال لك: كل الناس يأكلون الربا. لم تكذب؟ يقول لك: نتسلى!! أفكرت يا ابن آدم أن ذلك سجل عليك؟ اسمع ماذا يقول المجرمون: ﴿يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً﴾ ـ إنهم ضجوا من الصغائر قبل الكبائر ـ ﴿وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩] اعملوا ما شئتم إنه بما تعملون بصير.

ثالثاً ـ حال المجرمين في أرض المحشر إذا جيء بجهنم:

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا۟ عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾﴾ [الكهف: ٥٣]. نعم لما جيء بجهنم ورآها المجرمون علموا أنها ما جاءت إلا لهم. فلما علموا ذلك تغيرت وجوههم، واسودت وجوههم، ولذلك فإنهم يعرفون يوم القيامة بسيماهم فيؤخذون بالنواصي والأقدام، قال ـ تعالى ـ: ﴿فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ ﴿٣٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٨﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴿٣٩﴾

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٤٠ يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ ۝٤١ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٤٢﴾ [الرحمن: ٣٧ ـ ٤٢]. يعرف المجرمون في أرض المحشر بسيماهم فيؤخذ بالنواصي والأقدام، فيا له مِنْ ذل وهوان!! ثم يقال للمجرمين: هذه جهنم انظروا إليها، يا من كنتم تسخرون من النار، هذه هي النار يا من كنتم تسخرون ممّن يدعونكم، إلى الجنة، يا من كنتم تسخرون من الإسلام ومن المسلمين ﴿هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ۝٤٣ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ۝٤٤ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٤٥﴾ [الرحمٰن: ٤٣ ـ ٤٥].

إنّ الجن قالت لا نكذب بآيةٍ من آيات ربنا، وأنتم يا معشر الإنس وأنتم يا بني آدم تبارزون الله بالمعاصي ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٤٥﴾ [الرحمٰن: ٤٥]، ما ظنكم برب العالمين؟ إذا أُخذ المجرم بناصيته وقدمه ليلقى في النار تمنى أن يفتدي من عذاب يومئذٍ بكل ما يملك، وهيهات هيهات، ﴿يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ ۝١١﴾ [المعارج: ١١]، يتمنى لو يقدم أولاده إلى النار لينجو هو بنفسه!! والله الذي لا إله غيره ولا رب سواه لو أن رجلاً منا في الدنيا رأى ابنه يشتعل ناراً لقدم نفسه فداء لولده وكلنا يعلم ذلك، فالوالد يفدي ولده ولو بروحه، لكن يوم القيامة يفتدي الرجل من عذاب جهنم بأولاده وهذا يدل على أن العذاب يومها شديد أليم، ﴿يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ ۝١١ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ۝١٢ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ۝١٣ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ۝١٤﴾ [المعارج: ١١ ـ ١٤]، يقال له: كلا ﴿لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ﴾ [الحديد: ١٥]، ﴿كَلَّآ إِنَّهَا لَظَىٰ ۝١٥ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ۝١٦ تَدْعُوا۟ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ۝١٧ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ ۝١٨﴾ [المعارج: ١٥ ـ ١٨]، فلا فدية يومها أيها المجرم مهما كانت.

رابعاً ـ حال المجرمين في النار:

أتدرون يا عباد الله كيف يذهب المجرمون إلى النار؟ يقول الله ﷻ: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ۝٨٥ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ۝٨٦﴾ [مريم: ٨٥، ٨٦]، أي: عطاشاً يساقون إلى جهنم كالبهائم، بل البهائم أفضل منهم في الدنيا والآخرة. ثم إذا هم دخلوا النار سحبوا على

وجوههم إهانةً لهم، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾﴾ [القمر: ٤٧، ٤٨]، وإذا دخلوا النار ورأوا العذاب فإن الله ـ عزّ وجلّ ـ يوبخهم، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٥﴾ كُلُوا۟ وَتَمَتَّعُوا۟ قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [المرسلات: ٤٥، ٤٦] كلوا وتمتعوا؟! ماذا يأكلون في النار؟ إنه الزقوم، وبماذا يتمتعون؟ بلباس لهم من النار، وفراشهم الذي هو من النار، وبظللٍ من فوقهم ومن تحتهم من النار، ويقالُ لهم توبيخاً وتقريعاً: ﴿كُلُوا۟ وَتَمَتَّعُوا۟ قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [المرسلات: ٤٦]، ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا۟ لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾﴾ [المرسلات: ٤٧ ـ ٤٩]، فإذا دخلوا النار، فإن لهم عذاب دائم لا يفتر عنهم، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾ وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٨﴾ أَمْ أَبْرَمُوٓا۟ أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴿٧٩﴾ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [الزخرف: ٧٤ ـ ٨٠].

أمة الإسلام! قد تبين لكم أن الله أعد النار للمجرمين فيها من العذاب الأليم ما لا يعلمه إلا هو سبحانه وتعالىٰ، والمجرم يا عباد الله هو من بارز الله بالمعاصي في هذه الدنيا، فالكافر مجرم، والمشرك مجرم، والمنافق مجرم، وآكل الربا مجرم، والزاني مجرم، وشارب الخمر مجرم، والعاق لوالديه مجرم، والقاطع للرحم مجرم، والذي يبارز الله بالمعاصي مجرم.

واعلموا عباد الله! أن هناك من المجرمين من يخلد في النار ولا يخرج منها أبداً، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [الزخرف: ٧٤، ٧٥] ومن أمثال هؤلاء الذين لا يخرجون من النار أبداً الكافر الذي كفر بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، وكفر باليوم الآخر، وكل من كفر بـ(لا إله إلا الله)، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا

ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾﴾ [الأحزاب: ٦٤ ـ ٦٦]. وقال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفۡعَلُ بِٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهُمۡ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٖ مَّجۡنُونِۭ ﴿٣٦﴾﴾ [الصافات: ٣٤ ـ ٣٦]. فهذا الكافر لا يخرج من النار أبداً، ومن الأمثلة على هؤلاء أيضاً المشركُ الذي جعل مع الله إلهاً آخر، الذي جعل لله نداً، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ﴾ [المائدة: ٧٢]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ شَرُّ ٱلۡبَرِيَّةِ ﴿٦﴾﴾ [البينة: ٦]، ومن الأمثلة على هؤلاء أيضاً المنافق الذي يعتقد الكفر ويظهر الإسلام، الذي يتربص بالمسلمين والإسلام الدوائر، فهذا لا يخرج من النار أبداً، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمۡ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾﴾ [النساء: ١٤٥].

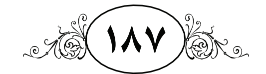
عباد الله! ومن أهل النار من يخرج من النار بعد أن يعذب فيها، وهذا العاصي الذي مات على التوحيد كصاحب الكبيرة، فأصحاب الكبائر إذا دخلوا النار، فإنهم يعذبون فيها ثم يخرجون إلى الجنة لأنهم ماتوا على التوحيد.

ولكن اعلم يا عبد الله أن غمسة واحدة في جهنم تنسي العبد كل نعيم الدنيا، يخبرنا ﷺ بذلك فيقول: «**يؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة، فيصبغ في النار صبغة ثم يقال: يا ابن آدم! هل رأيت خيراً قط؟ هل مرُّ بك نعيمٌ قطّ؟** ـ أي: في دنياك ـ **فيقول: لا والله يا رب...**»[(١)]، نسي نعيم الدنيا بغمسة واحدة في جهنم، فاحذروا عباد الله النار، واعملوا صالحاً لتكونوا من أهل الجنة.

إخوة الإسلام! النار أعدت للمجرمين فمن هو المجرم الأول؟ ومن هو المجرم الثاني؟ ومن هو المجرم الثالث؟ ومن هو المجرم الرابع؟ هذا الذي سنبدأ بالحديث عنه في الجمعة القادمة وما بعدها ـ إن شاء الله ـ إن كان في العمر بقية.

---

(١) **صحيح**: م: (٢٨٠٧)



المجرم الأول: الكافر

في الجمعة الماضية تكلمنا عن النار وتبين لنا عباد الله أن الله ﷻ أعد النار وما فيها من العذاب الأليم للمجرمين، وتبين لنا أن من دخلها كان مجرماً لقوله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾﴾ [طه: ٧٤]، ولقوله ـ تعالى ـ: ﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٢﴾﴾ [الرحمٰن: ٤١، ٤٢]. ولقوله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾﴾ [القمر: ٤٧، ٤٨].

عباد الله! **وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع المجرم الأول، أتدرون من هو يا عباد الله؟ إنه «الكافر».**

وحديثنا عن هذا المجرم في هذا اليوم سيكون حول العناصر التالية:

العنصر الأول: الكافر يعترف بجريمته.

العنصر الثاني: الكافر والنار.

العنصر الثالث: لماذا أدخل الله الكافر النار؟

العنصر الرابع: ما هو الواجب على المسلم نحو الكافر؟

عباد الله! الكافر يعترف يوم القيامة بجريمته، وذلك حين يخرج الناس من قبورهم لرب العالمين، فيعاين الكافر أهوال القيامة بعينه ويتمنى في هذا اليوم أن لو كان مسلماً، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾﴾ [الحجر: ٢].

- في هذا الوقت يتمنى الكافر أن لو كان في هذه الدنيا حيواناً

ليصير إلى تراب يوم القيامة، كما تصير الحيوانات، ﴿وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا﴾ [النبأ: ٤٠].

• الكافر يعترف بجريمته العظيمة ألا وهي الكفر، قال ـ تعالى ـ: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوٓا۟ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾﴾ [الأعراف: ٣٧]، أيها الكفار أين تلك الآلهة التي كنتم تعبدونها من دون الله؟ قالوا: ضلوا عنا، وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين، والاعتراف سيد الأدلة، ويحاول الكافر يوم القيامة أن يعتذر ولكن هيهات هيهات، يقول الله لهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَعْتَذِرُوا۟ ٱلْيَوْمَ ۖ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧﴾﴾ [التحريم: ٧]، فلا يبقى أمامه إلا أن يعترف، فيعترف على نفسه بالكفر.

• وفي موضع آخر يخبرنا ربنا جل وعلا عن الكافر وهو يعترف بذنبه، لتعلموا عباد الله أن الله ﷻ لا يظلم مثقال ذرة، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ ۖ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا۟ ۚ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ ﴿١٢﴾﴾ [غافر: ١٠ ـ ١٢].

• وفي موضع ثالث أيضاً يخبرنا ربُّنا باعتراف الكافر، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٦﴾ إِذَآ أُلْقُوا۟ فِيهَا سَمِعُوا۟ لَهَا شَهِيقًا وَهِىَ تَفُورُ ﴿٧﴾ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۖ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾ وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١١﴾﴾ [الملك: ٦ ـ ١١].

عباد الله! العنصر الثاني: الكافر والنار.

أخبرنا الله ﷻ أنه أعد النار للكافرين، فقال محذراً عباده: ﴿فَٱتَّقُوا۟

ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا﴾ [الإسراء: ٨]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَٰفِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٠﴾﴾ [الكهف: ١٠٠].

عباد الله! الكافر في أرض المحشر يساق إلى النار، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾﴾ [الزمر: ٧١، ٧٢]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿قَالَ ٱدْخُلُوا۟ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِى ٱلنَّارِ ۖ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُوا۟ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ ۖ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ وَقَالَتْ أُولَىٰهُمْ لِأُخْرَىٰهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [الأعراف: ٣٨، ٣٩]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾﴾ [ق: ٢٤ ـ ٢٦]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾ فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ ﴿٣٧﴾﴾ [الحاقة: ٣٠ ـ ٣٧].

ها هو حال الكافر في النار فانظروا إليه ـ والعاقل من اتعظ بغيره ـ قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾﴾ [الأحزاب: ٦٤ ـ ٦٨].

اعتبروا بالكافر يا أمة التوحيد، واسمعوا واتعظوا واعتبروا بما يقول وهو في النار، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ

يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾﴾ [فاطر: ٣٦، ٣٧]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾﴾ [الحج: ١٩ ـ ٢٢].

أمة الإسلام! لماذا أدخل الله الكفار النار؟

أولاً: لأنهم كفروا بالله، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الصافات: ٣٤، ٣٥]. لقد كانوا إذا دُعُوا إلى الإسلام، أو إذا سمعوا أن الإسلام ينتشر، أو إذا سمعوا أن أهل الإسلام يتمسكون بإسلامهم رفضوا الإسلام وأهل الإسلام واتهموهم بالاتهامات الباطلة: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴿٣٦﴾ بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾﴾ [الصافات: ٣٥ ـ ٣٧]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [النحل: ٨٨].

ثانياً: لأنهم كفروا بالقرآن واستهزءوا به، وسخروا منه، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ﴾ [سبأ: ٣١]، وقال تعالىٰ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾ فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَآءُ أَعْدَآءِ ٱللَّهِ ٱلنَّارُ ۖ لَهُمْ فِيهَا دَارُ ٱلْخُلْدِ ۖ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [فصلت: ٢٦ ـ ٢٨]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا قَالُوا۟ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ ۙ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾﴾ [الأنفال: ٣١]، أي: لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا عند سماعه حتى لا تنتفعوا ولا تتأثّروا به لأن كلام الله له تأثير في القلوب، فكان الكفار يوصي بعضهم بعضاً: لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون

المسلمين، ولذلك يقول قادة الغرب: (إذا أردتم القضاء على الإسلام والمسلمين فانزعوا الخمار عن رأس المرأة وضعوه على المصحف، لتتبرج نساء المسلمين، ويكون بين المسلمين وبين كلام الله أمداً بعيداً، فإذا ابتعد المسلمون عن قرآنهم وتبرجت نساؤهم سيطرتم عليهم). أوقع هذا يا عباد الله؟ نعم، حتى ضاعت الأرض، وضاع الشرف والكرامة، وأصبحنا من أذل الناس على وجه الأرض، وذلك يوم أن تبرجت النساء، ويوم أن أصبحنا لا نعرف من القرآن إلا أن يُقرأ على الأموات، وقد قال الله ﷻ: ﴿لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا﴾ [يس: ٧٠]، فأصبحنا نقرأ القرآن على الأموات ولا نعمل بالقرآن، فهذا حالنا وهذا واقعنا، قد استجبنا للكفار الذين قالوا: ﴿لَا تَسْمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْاْ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ [فصلت: ٢٦].

ثالثاً ـ أدخل الله الكفار النار: لأنهم كفروا برسول الله واستهزءوا به وهموا أن يقتلوه وأخرجوه من بلده، يقول الله ﷻ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [سبأ: ٣٤]، ما من رسول بعث في أمة، أو في قرية إلا قال مترفوها ـ دائماً وأبداً في كل زمان ومكان ـ إنا بما أرسلتم به كافرون، انظروا إلى المترفين إلا من رحم ربي في هذا الزمان إنهم لا يريدون الإسلام، ولا يحبون مظهراً من مظاهر الإسلام، بل منهم من يتجرأ ويقول عن الإسلام وتعاليمه: هذه رجعية، وقال تعالى مبيناً أن الكفار كانوا يستهزئون برسول الله ﷺ، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [الأنبياء: ٣٦]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا ۚ وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾ [الفرقان: ٤١ ـ ٤٤].

رابعاً ـ أدخل الله الكفار النار: لأنهم كانوا يصدون عن سبيل الله، ويبغونها عوجاً، وكانوا لا يتمنون خيراً للإسلام والمسلمين بل كانوا يتمنون الشر للإسلام والمسلمين في كل لحظة، والله يكشف لنا عن هذا، يقول الله ﷻ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبِعُواْ سَبِيلَنَا وَلۡنَحۡمِلۡ خَطَٰيَٰكُمۡ وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنۡ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَيۡءٍۖ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ١٢﴾ [العنكبوت: ١٢]، هذا نداء من الكفار للمسلمين في كل زمان ومكان، يا معشر المسلمين، اتبعوا سبيلنا؛ فإن عندنا التقدم وعندنا الحضارة ولنحمل نحن خطاياكم!! وقال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيۡهِمۡ حَسۡرَةً ثُمَّ يُغۡلَبُونَۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحۡشَرُونَ ٣٦﴾ [الأنفال: ٣٦]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَوۡ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِكُمۡ كُفَّارًا﴾ ـ لم يا ربنا؟ ـ ﴿حَسَدًا مِّنۡ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡحَقُّۖ﴾ [البقرة: ١٠٩]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَوَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ﴾ [الممتحنة: ٢]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿تُحِبُّونَهُمۡ وَلَا يُحِبُّونَكُمۡ﴾ [آل عمران: ١١٩]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿قَدۡ بَدَتِ ٱلۡبَغۡضَآءُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَمَا تُخۡفِي صُدُورُهُمۡ أَكۡبَرُۚ﴾ [آل عمران: ١١٨]، فأدخلهم الله النار لأنهم استحقوا النار، وإذا دخلوها اعترفوا عندها أن النار أولى بهم من الجنة جزاءً وفاقاً ولا يظلم ربك أحداً.

عباد الله! ما هو الواجب على المسلم نحو الكفار؟ اسمعوا وعوا فهذه عقيدة؛ لتعلموا أنها العقيدة أولاً لو كانوا يعلمون.

أولاً: يجب على المسلم أن يتبرأ من الكفار ومن عقيدتهم الفاسدة، وفي الوقت نفسه يجب عليه أن يوالي المسلمين؛ لما هم عليه من العقيدة الصحيحة وهذا ما يسمّى بـ(الولاء والبراء)، الولاء لمن قال: (لا إله إلا الله)، والبراء، ممَّن كفر بـ(لا إله إلا الله)، وقد ضرب لنا ربنا مثلاً في كتابه بإبراهيم عليه السلام والذين معه وأمرنا أن نتأسى بهم، قال ـ تعالى ـ: ﴿قَدۡ كَانَتۡ لَكُمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذۡ قَالُواْ لِقَوۡمِهِمۡ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمۡ وَمِمَّا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرۡنَا بِكُمۡ وَبَدَا بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةُ وَٱلۡبَغۡضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ

تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾﴾ [الممتحنة: ٤].

ثانياً: يجب على المسلم أن لا يوالي الكفار، لقوله ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ [الممتحنة: ١]، حتى وإن كان هؤلاء الكفار آباءً أو إخواناً، قال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّواْ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [التوبة: ٢٣].

ثالثاً: يجب على المسلم أن لا يتشبه بالكفار، لقوله ﷺ: «**من تشبه بقوم فهو منهم**»(١)، والتشبه بظاهر القوم يا عباد الله يورث المحبة لهم في الباطن، ولعلّ الكثير من المسلمين في هذا الزمان يتشبهون بالكفار في أشكالهم ولباسهم ولباس نسائهم وبيوتهم فاتقوا الله عباد الله.

رابعاً: يجب على المسلم أن لا يعيش ويقيم بين ظهراني الكفار، لقوله ﷺ: «**أنا بريء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين**»(٢)، والإقامة هي أخذ الجنسية والهجرة إلى بلاد الكفار للاستقرار فيها، وكم من المسلمين يهرول من كل مكان، ويدفع الرشوة ليهاجر من بلاد المسلمين إلى بلاد الكفار من أجل تحصيل الدنانير والدولارات!! وهناك ممن لا دين لهم مَنْ يغيِّر ديانته في جواز سفره ليتمكن من الوصول والعمل هناك، فأي ردّة بعد هذه الردة؟! وأي ضلال بعد هذا الضلال؟! لا يجوز للمسلم أن يهاجر إلى بلاد الكفار إلا إذا كان عالماً بدينه ـ حتى لا تفتنه الشبهات ـ فيذهب حتى يدعو الناس هناك للإسلام، ويجب أن يكون تقياً حتى لا تفتنه الشهوات لأن الزنا هناك والخمر والمعاصي في متناول الجميع.

---

(١) **صحيح**: د: (٤٠٣١)، طس: (٨/ ١٧٩)،[«ص.ج» (٦١٤٩)].

(٢) **حسن**: د: (٢٦٤٥)، ت: (١٦٠٤)، هب: (٧/ ٣٩)، هق: (٨/ ١٣١)، [«ص.ج» (١٤٦١)].

وإذا كان هناك ضرورة يحتاج إليها المسلمون كتعلم الطب، وبعض العلوم التي لا توجد في بلاد المسلمين، فيذهب هناك ليتعلم ثم يعود مرة أخرى إلى بلاد المسلمين، أما أن يهاجر وأن يقيم هناك فلا، وليسمع الرسول ﷺ وهو يقول: «**أنا بريء مِنْ كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين**»[1].

خامساً: يجب على المسلم ألا يتخذ بطانة من الكفار، لم؟ لأنهم خونة لا يحبون الإسلام ولا المسلمين، يقول الله ﷻ: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ**﴾ [آل عمران: ١١٨].

سادساً: يجب على المسلم ألَّا يطيع الكفار أبداً، لأنهم لا يأمروننا إلا بما هو شرٌّ ودمار لنا، قال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾﴾ [آل عمران: ١٤٩].

سابعاً: يجب على المسلم ألَّا يركن إلى الكفار، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ﴾ [هود: ١١٣]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٤].

اللهم رد المسلمين إلى دينهم ردّاً جميلاً

❁ ❁ ❁

(١) **حسن**: تقدم تخريجه ص٢٦.

١٨٨

المجرم الثاني ـ المشرك

عباد الله! قلنا في الجمع الماضية إن الله ﷻ أعد النار وما فيها من العذاب الأليم لتعذيب المجرمين وأن من دخلها كان مجرماً، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾ وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٨﴾ أَمْ أَبْرَمُوٓا۟ أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴿٧٩﴾ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ [الزخرف: ٧٤ ـ ٨١].

عباد الله! في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ سنتحدث عن المجرم الثاني، أتدرون من هو يا عباد الله؟ إنه «المشرك».

فتعالوا بنا يا عباد الله لنتعرف على هذا المجرم من خلال الكتاب والسنة؛ ليهلِك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينة.

عباد الله! المشرك من شر الناس، وهو من شر البرية، كما قال رب العزة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾﴾ [البينة: ٦].

- إن المشرك قد اقترف أعظم الذنوب، يقول ابن مسعود رضي الله عنه: سألت رسول الله ﷺ: أي الذنب أعظم عند الله؟ قال ﷺ: «**أن تجعل لله نداً وهو خلقك**»(١).

- المشرك يا عباد الله قد ارتكب أكبر الكبائر، يقول ﷺ لأصحابه

---

(١) **صحيح**: خ: (٥٦٥٥)، م: (٨٦).

يوماً: «**ألا أُنبئكم بأكبر الكبائر؟**» (ثلاثاً)، قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «**الإشراك بالله...**»[(١)].

• المشرك يا عباد الله نجس فلا يجوز له أن يقرب المسجد الحرام. قال ـ تعالى ـ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا﴾ [التوبة: ٢٨].

• المشرك يا عباد الله حلال الدم، قال ـ تعالى ـ: ﴿فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾﴾ [التوبة: ٥].

• المشرك يا عباد الله لا يجد ثواباً لعمله يوم القيامة ولو بنى في كل يوم مسجداً، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [الزمر: ٦٥]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنعام: ٨٨]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ [الفرقان: ٢٣].

• المشرك يا عباد الله لا يغفر له يوم القيامة أبداً، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ۚ﴾ [النساء: ٤٨]، وقال ـ سبحانه وتعالى ـ في الحديث القدسي: «**يا ابن آدم! لو أنك أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة**»[(٢)].

• المشرك يا عباد الله حرم الله عليه الجنة وحكم عليه بالخلود في النار، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢].

---

(١) **صحيح**: خ: (٢٥١١)، م: (٨٧).

(٢) **حسن**: ت: (٣٥٤٠)، حم: (٥/ ١٧٢)، مي: (٢٧٨٨)، طس: (٤/ ٣١٥)، [«ص.ج» (٤٣٣٨)].

عباد الله! المشرك مجرم، والشرك جريمة نكراء إذا دبت في الأمة فرّقتها وجعلتها شيعاً وأحزاباً، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الروم: ٣١، ٣٢].

• الشرك يا عباد الله إذا دب في الأمة منعها من أن يمكَّن لها في الأرض ومنعها من العزة والسيادة، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [النور: ٥٥]. ويفهم من ذلك أن الأمة إذا تركت عبادة الله واقترفت جريمة الشرك فلن يمكنوا في الأرض، ولن تكون لهم السيادة والعزة، ولذلك نقول للذين ينادون بدولة الإسلام: أصلحوا العقيدة أولاً ليمكّن لنا في الأرض، كما قال بعض الدعاة المعاصرين: (أقيموا دولة الله في قلوبكم ـ أي: بالعقيدة الصحيحة، والعمل الصالح ـ تقم على أرضكم).

• الشرك جريمة نكراء إذا اقترفتها الأمة نزلت إلى أسفل درجات الذل والهوان، قال ـ تعالى ـ: ﴿حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾﴾ [الحج: ٣١]. فالأمة إذا اقترفت جريمة الشرك ووقعت فيها هانت على الله ونزلت إلى أسفل درجات الذل والهوان والانحطاط. من أجل ذلك يا أمة الإسلام جاء الإسلام يحذر من الشرك تحذيراً شديداً، ففي كتاب ربنا قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ﴾ [النساء: ٣٦]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١١٦]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾﴾ [الإسراء: ٢٢]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾﴾ [فاطر: ١٣، ١٤].

• ورسولنا ﷺ حذَّر أمته من الشرك، قال أبو الدرداء رضي الله عنه: (أوصاني خليلي أن لا تشرك بالله شيئاً وإن قُطِّعت أو حُرِّقت)[(١)]، ويقول ﷺ: «**من لقي الله** ـ أي: يوم القيامة ـ **لا يشرك به شيئاً دخل الجنة، ومن لقيه يشرك به شيئاً دخل النار**»[(٢)].

عباد الله! إياكم والشرك؛ فمن اقترف الشرك فهو مجرم، ومأواه النار وما للظالمين من أنصار. إياكم والشرك فإنه جريمة ووبال على الأمة، وعلى الفرد، فكونوا من الشرك على حذر.

واعلموا أن رسولنا ﷺ جاء يدعو أمته والناس أجمعين إلى توحيد الله، وحفاظاً على جناب التوحيد فقد أغلق الرسول ﷺ كلّ الأبواب التي تؤدي إلى الشرك، فأغلق ﷺ الباب أمام الناس حتى لا يغلو في الأنبياء كما فعلت الأمم قبلنا، فقال ﷺ: «**لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبده، فقولوا: عبد الله ورسوله**»[(٣)]، أي: لا تفعلوا كما فعلت النصارى في عيسى ابن مريم فقالوا عنه: هو الله، وقالوا عنه: ابن الله، وقالوا عنه: ثالث ثلاثة، ومع ذلك وللأسف الشديد فقد غالى كثير من المسلمين برسول الله ﷺ حتى إنهم يدعونه من دون الله ويستغيثون به من دون الله، والله عز وجل حرم عليهم ذلك والرسول ﷺ بريء ممن يفعل ذلك، فالدعاء لا يكون إلا لله، والنذر لا يكون إلا لله، والخوف لا يكون إلا من الله، والتوكل لا يكون إلا على الله عز وجل.

كذلك أغلق الرسول ﷺ الباب أمام أمته حتى لا يقعوا في الغلو في الصالحين وفي الأولياء وفي المقبورين.

فقال ﷺ وهو في أنفاسه الأخيرة: («**لعنة الله على اليهود والنصارى؛ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**» يحذّر مثل ما صنعوا)[(٤)]؛ فحرَّم

---

(١) **حسن لغيره**: هـ: (٤٠٣٤)، خد: (١٨)، هب: (١١/٥)، [«ص.غ.هـ» (٥٦٧)].

(٢) **صحيح**: م: (٩٣).

(٣) **صحيح**: خ: (٣٢٦١).

(٤) **صحيح**: خ: (٤٢٥)، م: (٥٣١).

الرسول ﷺ بناء المساجد على القبور، ونهى الرسول ﷺ وحرم الصلاة عند القبور، كل ذلك سداً لجريمة الشرك وحفاظاً على جناب التوحيد، ومع ذلك فقد خالفت الأمة أمر رسولها، فبنوا المساجد على القبور، وصلوا إلى القبور، وطافوا بالقبور، ودعوا أصحاب القبور من دون الله ﷻ، والله ﷻ يقول: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾﴾ [يونس: ١٠٦]، أي: من المشركين.

• ونهى رسول الله ﷺ أيضاً سدّاً للذريعة عن الذهاب إلى السحرة والكهان، فقال ﷺ: «**من أتى عرّافاً أو كاهناً فصدَّقه بما يقول فقد كفر بما أُنزل على محمد**»(١). ومع ذلك ـ وللأسف الشديد ـ الكثير من المسلمين يهرول إلى السحرة، وإلى العرافين، وإلى الكهنة ويصدقهم بما يقولون.

• وحفاظاً على جناب التوحيد وسداً لذريعة الشرك أيضاً، فقد حرم الرسول ﷺ الصور والتماثيل ونهى عن الصور إلا للضرورة القصوى لأن مَنْ عَظَّمَ الصورة، وَعَظَّمَ التماثيل فسيعبدها يوماً ما، وذلك إذا قلَّ العلم وكثر الجهل كما صنع الشيطان في قوم نوح. فإن سبب الشرك فيهم أنهم صنعوا لعلمائهم تماثيل لما ماتوا فجاء الشيطان وأوحى إليهم فعبدوهم من دون الله.

• ورسول الله ﷺ نهى أن تحلف بغير الله، فإياك أن تحلف بأبيك، أو بشرفك أو بفلان من الناس، فالحلف عبادة ولا يكون إلا لله، وإياك أن تقول: ما شاء الله وفلان، فقد جاء رجل إلى رسول الله ﷺ وقال له: ما شاء الله وشئت، فقال رسول الله ﷺ: «**أجعلتني مع الله عدلاً؟** (وفي لفظ: **ندّاً**) **لا، بل ما شاء الله وحده**»(٢)، إياك أن تقع في ألفاظ الشرك وإن كنت لا تريد ذلك ولا تقصد، فالإسلام توحيد ظاهراً وباطناً.

---

(١) **صحيح**: حم: (٢/ ٤٢٩)، ك: (١/ ٤٩)، لس: (٣٨٢)، طس: (٢/ ١٢٢)، ع: (٩/ ٢٨٠)، بز: (٥/ ٣١٥)، [«ص.ج» (٥٩٣٩)].

(٢) **صحيح**: حم: (١/ ٣٤٧)، خد: (٧٨٣)، طب: (١٢/ ٢٤٤)، ش: (٥/ ٣٤٠)، هق: (٣/ ٢١٧)، [«س.ص» (١٣٩)].

أمة الإسلام! هذا هو الشرك منه الأكبر وصاحبه مخلّدٌ في النار، ومنه الأصغر وصاحبه على خطرٍ عظيم، ولكنه لا يخلّد في النار، وهو مثل: الرّياء، فاحذروا من الشرك صغيره وكبيره.

اللهم رد المسلمين إلى دينك ردّاً جميلاً



١٨٩

المجرم الثالث ـ «المكذب باليوم الآخر»

عباد الله!

• تبين لنا عباد الله من خلال آيات القرآن الكريم أن الله ﷻ أعد النار لتعذيب المجرمين جزاء وفاقاً، ولا يظلم ربك أحداً، قال ـ تعالى ـ: ﴿هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ﴿٤٤﴾﴾ [الرحمن: ٤٤].

• وتبين لنا عباد الله أن مَنْ دخل النار كان في هذه الدنيا من المجرمين، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾﴾ [طه: ٧٤].

عباد الله! وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع المجرم الثالث،- أتدرون من هو يا عباد الله؟ إنه «المكذب بيوم القيامة».

إنه المكذب بالساعة، إنه المكذب الذي أنكر البعث والنشور والحساب والجزاء، إنه المكذّب بيوم الدِّين.

عباد الله! الذي يكذب بالساعة، وينكر القيامة، مجرم لا يخرج من النار أبداً، قال ـ تعالى ـ: ﴿كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِى جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ﴿٤٧﴾ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [المدثر: ٣٨ ـ ٤٨].

عباد الله! تعالوا واسمعوا إلى هؤلاء المجرمين الذين يكذبون بيوم الدين الذين يكذبون بالساعة، الذين يكذبون بالقيامة، ماذا كانوا يقولون؟

وماذا كانوا يعتقدون وهم في هذه الدنيا؟ قال تعالى عنهم: ﴿وَقَالُوٓاْ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ۝٢٩﴾ [الأنعام: ٢٩]، وقال تعالى عنهم: ﴿وَقَالُواْ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ۝٢٤﴾ [الجاثية: ٢٤]، وقال تعالى عنهم: ﴿وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۙ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ ۚ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٣٨﴾ [النحل: ٣٨]، وقال تعالى عنهم أنهم كانوا يقولون: ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ۖ ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ ۝٣﴾ [ق: ٣]، وقال تعالى عنهم: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْ ۚ﴾ [التغابن: ٧]، ـ أي: اعتقدوا ـ وقال تعالى عنهم: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ۖ﴾ [سبأ: ٣].

فلما قالوا ذلك واعتقدوه، أي: لمّا أنكروا الساعة والقيامة والحساب والجزاء، دفعهم ذلك إلى أن كذبوا بالقرآن الكريم وبرسول الله ﷺ، ودفعهم ذلك أيضاً إلى الإقبال على المعاصي والذنوب لأنهم كذبوا بالحساب والجزاء، والله ﷻ يخبرنا في كتابه بذلك ويكشف لنا عن السبب الذي دفعهم إلى ذلك فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ ۖ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا ۝٤ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝٥ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝٦ وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۙ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ۝٧ أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ۚ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ۝٨ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلْأَمْثَٰلَ فَضَلُّواْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ۝٩ تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًۢا ۝١٠ بَلْ كَذَّبُواْ بِٱلسَّاعَةِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا ۝١١﴾ [الفرقان: ٤ ـ ١١]. وهكذا يكشف لنا ربنا عن سرّهم لم فعلوا ذلك؟ ولماذا قالوا عن القرآن ما قالوا؟ ولماذا قالوا عن رسول الله ﷺ ما قالوا؟ السبب ﴿بَلْ كَذَّبُواْ بِٱلسَّاعَةِ ۖ﴾، وقال ـ تعالى ـ: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ۝١ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ۝٢...﴾ إلى أن قال رب

العزة: ﴿كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ ﴿٩﴾﴾ [الانفطار: ١ ـ ٩] أي: بيوم الدين، بيوم الحساب والجزاء، فالذي دفعك يا ابن آدم إلى المعاصي وغرك بالله الغرور أنك كنت تكذب بيوم الدين.

عباد الله! تعالوا بنا للنظر إلى هؤلاء الذين كذبوا بالساعة وبالقيامة من لحظة خروجهم من القبور يوم القيامة إلى أن يدخلوا النار، ليهلِك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينة.

عباد الله! إذا خرج هؤلاء من قبورهم فاسمعوا ماذا يقولون: قال ـ تعالى ـ: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾ فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾﴾ [يس: ٥١ ـ ٥٤].

وقال تعالى في موضع آخر عنهم: ﴿وَقَالُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾ أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ﴿١٧﴾ قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَاخِرُونَ ﴿١٨﴾ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا يَا وَيْلَنَا هَٰذَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿٢٠﴾ هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٢١﴾ ۞ احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ ﴿٢٤﴾﴾ يقال لهم: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾ بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [الصافات: ١٥ ـ ٢٦]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ الْبَعْثِ ۖ فَهَٰذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [الروم: ٥٥، ٥٦].

عباد الله! إذا خرج هؤلاء من قبورهم، فإنهم يحشرون إلى ربهم على وجوههم ولا يمشون على أرجلهم، فإن قال قائل: كيف يمشون يوم القيامة على وجوههم؟ نقول له: الذي أمشاهم في الدنيا على أرجلهم قادر على أن يمشيهم يوم القيامة على وجوههم. قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَن يَهْدِ اللَّهُ

فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّاۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾﴾ [الإسراء: ٩٧، ٩٨]، نعم، لقد حشروا على وجوههم عمياً وبكماً وصماً، والسبب أنهم كانوا يقولون: ﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾.

● ثم إذا وقفوا للحساب والجزاء فاسمع ما يقول الله ﷻ عنهم: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْۚ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَاۚ قَالَ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٠﴾ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُواْ يَٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٣١﴾﴾ [الأنعام: ٣٠، ٣١]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾﴾ [الكهف: ١٠٣ ـ ١٠٥]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿۞ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَاۗ لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا ﴿٢١﴾ يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٢٢﴾ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ [الفرقان: ٢١ ـ ٢٣].

● ثم إذا دخلوا النار اعترفوا بجريمتهم ولم يخرجوا منها أبداً، قال ـ تعالى ـ: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُواْ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾...﴾ إلى أن قال ـ تعالى ـ: ﴿وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ﴿٤٧﴾ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [المدثر: ٤٢ ـ ٤٨]. وقال ـ تعالى ـ: ﴿بَلْ كَذَّبُواْ بِٱلسَّاعَةِۖ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُواْ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾ وَإِذَآ أُلْقُواْ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْاْ هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾ لَّا تَدْعُواْ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدْعُواْ ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾﴾ [الفرقان: ١١ ـ ١٤]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿۞ وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ

هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٥﴾﴾ [الرعد: ٥] ـ أي: إذا أردت أن تتعجب فتعجب من قول هؤلاء الذين قالوا ﴿أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا﴾ ـ أي: بعد الموت ـ ﴿أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ ـ أي: هل سيكون بعد ذلك بعث ونشور وجزاء؟!.

عباد الله! إن من كذب بالساعة، من كذّب بالقيامة مجرم سفيهٌ لا عقل له، لم؟

أولاً: لأن الله ﷻ أخبرنا في كتابه عن الساعة وعن القيامة وعن البعث وأنه لا ريب في ذلك، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأَتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [غافر: ٥٩]، يفهم من هذا أن القلة هي المؤمنة والكثرة هي الكافرة الفاسقة، وقال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ...﴾ إلى أن قال ﷻ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٧﴾﴾ [الحج: ٥ ـ ٧].

ثانياً: لأن الله ﷻ أخبرنا في كتابه أن الساعة قريبة جداً، قال ـ تعالى ـ: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١﴾﴾ [النحل: ١]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴿١﴾﴾ [القمر: ١]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ﴿٦﴾ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ﴿٧﴾﴾ [المعارج: ٦، ٧]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾﴾ [الأنبياء: ١]، ولعلّ في هذه الآية وصفٌ لأحوالنا اليوم، ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾، ـ غداً الحساب ومع ذلك ـ ﴿وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾: ربا، تبرج، ضحك، طبل، رقص، ترك للصلاة مع أن الحساب غداً، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ [الحشر: ١٨]، وأنت إذا جاءك الموت انتقلت من الدنيا إلى دار الحساب.

ثالثاً: لأن الله أقسم بنفسه ـ سبحانه وتعالى ـ على وقوع القيامة على أن ذلك لا ريب فيه، قال ـ تعالى ـ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [النساء: ٨٧].

رابعاً: ولأن الله ﷻ أمر رسوله ﷺ أن يقسم للمكذبين بالبعث على أنه كائن لا ريب فيه، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾ [سبأ: ٣]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿۞ وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ ۖ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ ۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [يونس: ٥٣]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾﴾ [التغابن: ٧].

خامساً: لأن الذي بدأ الخلق هو الله، وهو سبحانه وتعالى يعيده مرة أخرى، والإعادة أهون من الخلق ومن البدءِ. قال ـ تعالى ـ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾ [الروم: ٢٧].

فنقول للمكذب بالبعث: من الذي خلقك؟ إن قال: خالقي هو الله، نقول له: أيعجز ربنا جل وعلا أن يعيدك مرة ثانية وهو الذي أنشأك في المرة الأولى؟! بل قد أخبرنا الله في كتابه أنه أحيا في هذه الدنيا بعضاً من الموتى بعدما ماتوا في الدنيا ليعلم الجميع بذلك أنهم بعد موتهم سيبعثون من قبورهم للحساب والجزاء كما بُعث هؤلاء، ﴿لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى﴾ [النجم: ٣١].

نسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يسترنا يوم القيامة



١٩٠

المجرم الرابع ـ المنافق

عباد الله! لا زلنا في صدد الحديث عن المجرمين الذين أعد الله لهم جهنم وتوعّدهم بأن لا يخرجوا منها أبداً. **وفي هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ نتحدّث عن المجرم الرابع، أتدرون من هو يا عباد الله؟ إنه «المنافق»**.

أمة الإسلام! المنافق مجرم في حق ربه، مجرم في حق نفسه، مجرم في حق الإسلام والمسلمين. قال ـ تعالى ـ: ﴿يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [التوبة: ٦٤ ـ ٦٦].

عباد الله! إن المنافق مجرم من أهل النار لا يخرج منها أبداً، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾﴾ [النساء: ١٤٥]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾﴾ [النساء: ١٣٨]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾﴾ [التوبة: ٦٨]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٤٠]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ ۖ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾﴾ [الحديد: ١٥].

أمة الإسلام! إن النفاق مرض خبيث لا يرى بالعين، فهو يَكْمُنُ في القلوب، ويخفى على الناس وربما أنه يخفى على صاحبه، فترى أحدهم

يمتلئ نفاقاً ويظن في نفسه أنه من المصلحين وهو في الحقيقة من أفسد الناس، والبلايا إنما نزلت بالإسلام والمسلمين من جرّاء النفاق وأهله.

عباد الله! **النفاق نوعان**: أكبر، وأصغر.

فالنفاق الأكبر يوجب لصاحبه الخلود في النار، وصاحبه في الدرك الأسفل من النار لا يخرج منها أبداً، وهذا المنافق هو من أظهر الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، ولكنه اعتقد في قلبه خلاف ذلك، ومن الكفر بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله واليوم الآخر.

عباد الله! المنافقون شرٌ ووبالٌ على الإسلام والمسلمين في كل زمان ومكان، وهم أشد ضرراً على الإسلام والمسلمين من اليهود والنصارى، ولذلك فالله ﷻ في كتابه فضح المنافقين، وكشف أسرارهم، ووصفهم ظاهراً وباطناً لعباده المؤمنين ليكونوا منهم على حذر، فالله ﷻ بدأ كتابه بذكر طوائف الناس: المؤمنين، والكافرين، والمنافقين، واقرءوا سورة البقرة من أولها، فالمؤمنون الذين آمنوا باطناً وظاهراً ذكر الله فيهم أربع آيات عرّفنا من خلالها على صفاتهم.

- والكافرون الذين كفروا باطناً وظاهراً ذكر الله فيهم آيتين عرّفنا من خلالها على صفاتهم.

- وأمّا المنافقون الذين أسلموا ظاهراً وكفروا باطناً ـ من الصعوبة أن نعرفهم، فإن لنا الظاهر والسرائر يتولاها رب السرائر ـ فهؤلاء ولخطرهم على الإسلام والمسلمين ذكر الله فيهم ثلاث عشرة آية، وذكرهم في سورة النساء، وفي سورة آل عمران، وما من سورة خلت من ذكر المنافقين، بل وفضَحَهُم الله ـ عزّ وجلّ ـ في سورة براءة حتى سميت بالفاضحة، لأن الله فضح فيها المنافقين، وكشف أسرارهم، كما وأنزل سورة كاملة فيهم وهي «سورة المنافقون»، حتى كاد القرآن أن ينزل جميعاً في وصف المنافقين والتحذير منهم لخطرهم، فتعالوا بنا يا أمّة الإسلام لنتعرف على هذا المجرم وهو المنافق من خلال الكتاب والسنة لتكونوا من المنافقين على حذر.

عباد الله!

أولاً: المنافق من أكذب الناس، وهذه صفة لازمة له يخبرك بها رب العزة، يقول الله ﷻ: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشۡهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ۝١﴾ [المنافقون: ١]. وفي موضع آخر قال ـ تعالى ـ: ﴿۞أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ يَقُولُونَ لِإِخۡوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَئِنۡ أُخۡرِجۡتُمۡ لَنَخۡرُجَنَّ مَعَكُمۡ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمۡ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلۡتُمۡ لَنَنصُرَنَّكُمۡ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ۝١١﴾ [الحشر: ١١]. ويقول ﷺ: «**آية المنافق ثلاث**» ـ منها ـ «**وإذا حدَّث كذب**»[١].

ثانياً: المنافق له وجهان ولسانان، وجه يبتسم به للمؤمنين، ووجه يبتسم به للكافرين، لسانٌ يكلم به المؤمنين، ولسانٌ يتكلم به مع أعداء الإسلام، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمۡ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمۡ إِنَّمَا نَحۡنُ مُسۡتَهۡزِءُونَ ۝١٤﴾ [البقرة: ١٤]. ويقول ﷺ: «**تجدون من شرار الناس ذا الوجهين الذي يأتي هؤلاء بوجه، وهؤلاء بوجه**»[٢]، وقال ﷺ: «**من كان ذا لسانين جعل الله له يوم القيامة لسانين من نار**»[٣].

ثالثاً: المنافقون أحسن الناس أجساماً وأعسلهم لساناً وألطفهم بياناً وأخبثهم قلوباً، قال ـ تعالى ـ: ﴿۞وَإِذَا رَأَيۡتَهُمۡ تُعۡجِبُكَ أَجۡسَامُهُمۡۖ وَإِن يَقُولُواْ تَسۡمَعۡ لِقَوۡلِهِمۡۖ كَأَنَّهُمۡ خُشُبٞ مُّسَنَّدَةٞۖ يَحۡسَبُونَ كُلَّ صَيۡحَةٍ عَلَيۡهِمۡۚ هُمُ ٱلۡعَدُوُّ فَٱحۡذَرۡهُمۡۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۖ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ۝٤﴾ [المنافقون: ٤]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ۝٢٠٤ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ ۝٢٠٥ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتۡهُ ٱلۡعِزَّةُ بِٱلۡإِثۡمِۚ فَحَسۡبُهُۥ جَهَنَّمُۖ وَلَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ۝٢٠٦﴾ [البقرة: ٢٠٤ ـ ٢٠٦].

---

(١) **صحيح**: خ: (٣٣)، م: (٥٩).
(٢) **صحيح**: خ: (٣٣٠٤)، م: (٢٥٢٦).
(٣) **صحيح لغيره**: طس (٨/ ٣٦٥)، حل: (٢/ ١٦٠)، [«ص.غ.هـ» (٢٩٥٠)].

رابعاً: المنافق متذبذب بين الكفر والإيمان، فهو في ريب متردد، قال ـ تعالى ـ: ﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾﴾ [النساء: ١٤٣].

خامساً: المنافق يتربص بالمؤمنين الدوائر، يتمنى المصائب للمؤمنين في كل لحظة، إذا نزلت بالمؤمنين مصيبة فرح واستبشر، وإذا نزل بالمؤمنين نصر من عند الله غمه ذلك، قال ـ تعالى ـ: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ﴾ [النساء: ١٤١].

سادساً: المنافقون يشبه بعضهم بعضاً، فهم جنس خبيث، إذا أمروا أمروا بالمنكر، وإذا نهوا نهوا عن المعروف، ولذلك أقول: إذا جلس أهل الإيمان والدعاة وطلاب العلم وتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تركوا المجال للمنافقين ليأمروا الناس بالمنكر وينهونهم عن المعروف. قال ـ تعالى ـ: ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ﴾ ـ أي: بعضُهُم يشبه بعض ـ ﴿يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ﴾ [التوبة: ٦٧].

سابعاً: المنافقون إذا دعوا إلى الكتاب والسنة على ما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه تراهم يصدون عن ذلك صدوداً ويرفضون ذلك بكل قوة، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾﴾ [النساء: ٦١].

ثامناً: المنافق إذا قام للعبادة قام كسلانَ مرائياً، وإذا جاء إلى العبادة جاء كسلانَ مرائياً، يقول الله ﷻ في وصف المنافقين إذا خرجوا من بيوتهم إلى الصلاة: ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٥٤﴾﴾ [التوبة: ٥٤]، وإذا جاءوا إلى المسجد فأُقيمت الصلاة قاموا إلى الصلاة وهم كسالى يراءون الناس، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٤٢].

تاسعاً: المنافقون من أجبن الناس في أرض المعركة، وإذا اشتدت الأزمة وتداعى الكفار على المسلمين من كل مكان في هذه اللحظة الحرجة يتخلى المنافقون.

وقد أخبرنا الله ﷻ عنهم في كتابه، فقال تعالى في يوم الأحزاب وما لقي المؤمنون فيه من شدة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ إِذۡ جَآءُوكُم مِّن فَوۡقِكُمۡ وَمِنۡ أَسۡفَلَ مِنكُمۡ وَإِذۡ زَاغَتِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلۡقُلُوبُ ٱلۡحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبۡتُلِيَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَزُلۡزِلُواْ زِلۡزَالٗا شَدِيدٗا ﴿١١﴾﴾ [الأحزاب: ٩ ـ ١١].

في هذه اللحظة الحرجة التي زُلزل المؤمنون فيها زلزالاً شديداً اسمع ماذا يقول المنافقون وماذا يطلبون: ﴿وَإِذۡ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورٗا ﴿١٢﴾ وَإِذۡ قَالَت طَّآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ يَٰٓأَهۡلَ يَثۡرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمۡ فَٱرۡجِعُواْۚ وَيَسۡتَـٔۡذِنُ فَرِيقٞ مِّنۡهُمُ ٱلنَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوۡرَةٞ وَمَا هِيَ بِعَوۡرَةٍۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارٗا ﴿١٣﴾﴾ [الأحزاب: ١٢، ١٣]. قالوا: يا رسول الله نريد أن نرجع إلى بيوتنا إنها عورة، ففضحهم الله ﷻ وقال: ﴿وَمَا هِيَ بِعَوۡرَةٍۖ﴾، ولا عذر لهم إلا أنهم يريدون الفرار من المعركة لينتصر الكفار على المسلمين، قاتلهم الله. انظر إلى المؤمنين الصادقين في أرض المعركة فهم على العكس من ذلك تماماً، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡأَحۡزَابَ قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥۚ وَمَا زَادَهُمۡ إِلَّآ إِيمَٰنٗا وَتَسۡلِيمٗا ﴿٢٢﴾ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب: ٢٢، ٢٣]. إذن المنافق جبان في أرض المعركة، خائن، فإياك أن تركن إليه، وإياك أن تنخدع بابتسامته وبكلامه واعلم أن المنافقين قد كثروا في زماننا هذا، فاحذرهم.

عاشراً: المنافق من شيمه وأخلاقه أنه يطلب العزة من أعداء الإسلام والمؤمن الصادق يطلب العزة من الله وحده، فمن كان يريد العزة فلله العزة جميعاً، قال ـ تعالى ـ: ﴿بَشِّرِ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ

يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾﴾ [النساء: ١٣٨، ١٣٩].

عباد الله! **أعد الله للمنافقين عذاباً أليماً في الدنيا والآخرة، فمن العذاب الذي أعده الله للمنافقين في هذه الدنيا:**

أولاً: أنه سبحانه أمر رسوله ﷺ أن يجاهدهم، ويغلظ عليهم كما قال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾﴾ [التوبة: ٧٣]. وجهاد المنافقين يكون بالحجة والبرهان، وجهاد الكفار يكون بالسلاح.

ثانياً: نهى ربنا جل وعلا رسوله ﷺ أن يصلي على أحد منهم مات أبداً أو أن يقوم على قبره، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾﴾ [التوبة: ٨٤].

ثالثاً: نهى ربنا جل وعلا رسوله ﷺ أن يستغفر لهم، فقال ـ تعالى ـ: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٨٠﴾﴾ [التوبة: ٨٠].

أما يوم القيامة:

فالله ﷻ يفضح المنافقين في أرض المحشر، وذلك حين تظهر العلامة التي بين المؤمنين وبين ربهم فيخرون لربهم سجداً فإذا سجد المؤمنون وأراد المنافقون أن يسجدوا مع المؤمنين كما كانوا يسجدون في الدنيا معهم مُنِعُوا من السجود وتصلّبت ظهورهم فلا يستطيعون السجود يوم القيامة وترهقهم ذلّة، قال ـ تعالى ـ: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌۖ وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [القلم: ٤٢، ٤٣].

وهناك على الصراط.

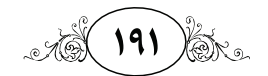
إذا أخذ المؤمنون في السير على الصراط، وما أدراك ما الصراط؟! هو متن على جسر جهنم أدق من الشعر، وأحد من السيف، يسير عليه الناس بنور أعمالهم، فإذا سار المؤمنون وسار معهم المنافقون كما كانوا يفعلون في الدنيا، فإذا بدءوا في السير على الصراط، فهناك تهب ريح النفاق لتطفىء أنوار المنافقين فيقفون حيارى على الصراط، ويأخذون بالنداء على المؤمنين: ألسنا معكم لم تركتمونا على الصراط في هذه الظلمات؟ قال ـ تعالى ـ: ﴿يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾﴾ [الحديد: ١٣ ـ ١٥].

عباد الله! المنافق مجرم، المنافق من أهل النار، المنافق نفاقاً قلبياً الذي يعتقد الكفر ويظهر الإسلام فهو في الدرك الأسفل من النار، المنافقون أشد ضرراً على الإسلام والمسلمين، فضحهم الله ﷻ في كتابه، ووصفهم لنا ظاهراً وباطناً لنكون منهم على حذر.

أمة الإسلام! تعلموا دينكم، وكونوا على علم بصفات المنافقين حتى لا تنخدعوا بهم وبأقوالهم، وحتى لا تكونوا من ضحايا المنافقين.

اللهم رد المسلمين إلى دينهم ردّاً جميلاً





المجرم الخامس ـ المرائي

عباد الله! في الجمعة الماضية تبين لنا أن الله ﷻ أعد النار لتعذيب المجرمين جزاءً وفاقاً ولا يظلم ربك أحداً، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾﴾ [القمر: ٤٧، ٤٨]، وتبين لنا عباد الله أن مَنْ كان مجرماً دخل النار، لقوله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾﴾ [طه: ٧٤]، وتبين لنا أيضاً أن من المجرمين من يدخل النار ويعذب فيها ولا يخرج منها أبداً كما قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾﴾ [الزخرف: ٧٤ ـ ٧٦]. ومن المجرمين يا عباد الله من يعذب في النار ولكن لا يُخلّد فيها كأصحاب الكبائر.

عباد الله! **وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع المجرم الخامس، أتدرون من هو يا عباد الله؟ إنه «المرائي»**

أمة الإسلام! المرائي مَنْ يبتغي بعمله الدنيا.

- المرائي مَنْ يبتغي بعمله غير الله.
- المرائي الذي ينشط بالعبادة أمام الناس ويكسل عنها إذا كان وحده.
- المرائي في قلبه مرض.
- المرائي الذي يُظهر للناس خلاف ما في قلبه، كما قال القائل في وصف المرائين:

هم في الظواهرِ زهادٌ أولوا ورعٍ   وفي البواطنِ إخوانُ الشياطينِ

يُحرِّمون الذي حلَّ الإلهُ لهم ويستبيحونَ أموالَ المساكينِ
يا بئسَ ما فعلوا يا بئسَ ما تركوا وهم يُعدُّون فينا بالملايين

فانظروا يا عباد الله، هم في الظواهر زهاد أولو ورع، وفي البواطن إخوان الشياطين، يحرمون ما أحل الله ولكنهم بينهم وبين أنفسهم يستحلون أموال المساكين، فيا بئس ما فعلوا، ويا بئس ما تركوا، وهم يعدون فينا بالملايين.

عباد الله! المرائي مجرم من أهل النار، بل هو أول من تسعرُ به جهنم، يقول أبو هريرة رضي الله عنه: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن أول الناس يُقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد فأُتي به فعرَّفهُ نعمته فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت، قال: كذبت، ولكنك قاتلت لأن يُقال جريء، فقد قيل، ثم أُمر به فسُحب على وجهه حتى أُلقي في النار، ورجل تعلَّم العلم وعَلمه، وقرأ القرآن فأُتي به فعرَّفه نِعَمَهُ فعرفها. قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلَّمتُ العلم وعلَّمتُه، وقرأت فيك القرآن. قال: كذبت ولكنك تعلَّمت العلم ليقال عالم وقرأت القرآن ليقال هو قارىء، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى أُلقي في النار، ورجل وَسَّع الله عليه، وأعطاه من أصناف المال كله فأُتي به فعرَّفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل تحب أن يُنفق فيها إلا أنفقت فيها لك، قال: كذبت، ولكنك فعلت ليقال هو جواد فقد قيل، ثم أُمِرَ به فسُحِبَ على وجهه ثم أُلقي في النار**»(١).

عباد الله! انظروا إلى المرائين إنهم أرادوا بأعمالهم هذه الدنيا الفانية ولم يريدوا بأعمالهم وجه الله والدار الآخرة. والله عز وجل يقول في كتابه: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ۝١٥ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي ٱلْأٓخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ۝١٦﴾ [هود: ١٥، ١٦]. والرسول ﷺ يقول: «**إن أخوف ما**

(١) صحيح: م: (١٩٠٥).

أخاف عليكم الشرك الأصغر»، قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال: «**الرياء، يقول الله ﷻ إذا جزى الناس بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تراؤون في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاءً**»؟[(١)]، وهيهات هيهات أن يجدوا جزاءً يوم القيامة إلا عند الله.

عباد الله! انظروا إلى هؤلاء المرائين الذين أتى ذكرهم في الحديث السابق:

● فالمرائي الأول كان قد قدّم روحه في أرض المعركة ولكن بنية خبيثة، بنية فاسدة أراد بموته فقط أن يقال عنه بعد موته: جريء، وأن يكتب عنه في الصُّحف والمجلات، وأن يكتب عنه التاريخ، فهو ما أراد بموته وجه الله وأن يُعلي كلمة الله ﷻ، وقد سُئل ﷺ عن الرجل يقاتل شجاعة، ويقاتل حمية، ويقاتل رياء، أي ذلك في سبيل الله؟ فقال رسول الله ﷺ: «**من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله**»[(٢)].

● انظروا عباد الله إلى المرائي الثاني: فإنه تعلم العلم، علم الكتاب والسنة وعلَّمه، وقرأ القرآن، ولو أنه أراد بهذا العلم وجه الله لارتفع وعلا في الدنيا والآخرة، ولفاز في الدنيا والآخرة، ولكنه طلب العلم، وتعلم، وقرأ القرآن بنية خبيثة فاسدة أراد بذلك أن يُشار إليه بالبنان وأن يتصدر المجالس، ليقال عنه: عالم، ليقال عنه: قارئ، والله ﷻ ضرب لمثل هذا ولأمثاله مثلاً في كتابه، فقال ـ تعالى ـ: ﴿**وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِ إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ أَوۡ تَتۡرُكۡهُ يَلۡهَثۚ**﴾ [الأعراف: ١٧٥، ١٧٦]، فلم يكن له همّ إلا الدنيا، فهو يلهث خلفها، يبيع دينه بعرض من الدنيا، ورسولنا الكريم ﷺ

---

(١) **صحيح**: حم: (٥/٤٢٨)، طب: (٤/٢٥٣)، هب: (٥/٣٣٣)، [«ص.غ.هـ» (٣٢)].

(٢) **صحيح**: خ: (٧٠٢٠)، م: (١٩٠٤).

يقول: «**من تعلم علماً مما يبتغى به وجه الله ﷻ لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضاً من الدنيا لم يجد عَرْفَ الجنة يوم القيامة**»[(١)]، أي: لم يجد ريحها يوم القيامة. وقال ﷺ: «**لا تعلَّموا العلم لتباهوا به العلماء، ولا لتماروا به السفهاء، ولا تخيَّروا به المجالس، فمن فعل ذلك فالنارُ النارُ**»[(٢)]، وقال ﷺ: «**من تعلم العلم ليباهي به العلماء، أو يماري به السفهاء، أو يصرف به وجوه الناس إليه أدخله الله جهنم**»[(٣)].

يا طالب العلم! اسأل نفسك لم تتعلم؟ وكيف تتعلم؟ فإن كنت تتعلم لوجه الله فستنتفع بهذا العلم في الدنيا والآخرة، وإنْ كنت تتعلم للدنيا الفانية: لتصرف أنظار الناس إليك، لتتصدّر بذلك المجالس، ليشار إليك بالبنان، فالويل لك أيها الطالب!! فالويل لك أيها المسلم إنْ فعلت ذلك!

• وانظروا إلى المرائي الثالث: فإنه بَدَلَ أن ينفق المال في مرضاة الله، أنفقه ليقال عنه: كريم، ليقال عنه: جواد، والله ﷻ يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ﴾ [البقرة: ٢٦٤]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۗ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَهُۥ قَرِينٗا فَسَآءَ قَرِينٗا ٣٨﴾ [النساء: ٣٨].

عباد الله! يوم القيامة إذا جمع الله الأولين والآخرين، وخرج الناس من قبورهم حفاة عراة غرلاً لرب العالمين، ووقفوا عند الله للحساب والجزاء فيفضح الله المرائين ﴿يَوۡمَ تُبۡلَى ٱلسَّرَآئِرُ ٩﴾ [الطارق: ٩]، يوم يخرج ما في الصدور، يوم الفضيحة الكبرى يقول الله للمرائين في هذا الموقف

---

(١) **صحيح**: د: (٣٦٦٤)، هـ: (٢٥٢)، حم: (٢/ ٣٣٨)، حب: (٧٨)، ك: (١/ ١٦٠)، ع: (١١/ ٢٦٠)، هب: (٢/ ٢٨٢)، ش: (٥/ ٢٨٥)، [«ص.ج» (٦١٥٩)].
(٢) **صحيح لغيره**: هـ: (٢٥٤)، حب: (٧٧)، هب: (٢/ ٢٨٢) [«ص.غ.هـ» (١٠٧)].
(٣) **صحيح**: هـ: (٢٦٠)، مي: (٣٧٤)، طس: (٦/ ٣٢)، [«ص.ج» (٦١٥٨)].

الشديد: اذهبوا إلى الذين كنتم تراءون لهم هل تجدون عندهم جزاء؟ قال ﷺ: «**ما من عبد يقوم في الدنيا مقام سمعة ورياء إلا سمَّع الله به على رؤوس الخلائق يوم القيامة**»(١)، وقال ﷺ: «**من سَمَّعَ الناس بعمله سمَّع الله به مسامع خلقه، وصغَّره وحقَّره**»(٢).

عباد الله! كونوا من الرياء على حذر؛ فهو مرض خطير جداً، لا يُرى بالعين ولا يمس بالأنامل، ولا يسمع بالأذان، إنما يكمن في القلب، ويخفى حتى على صاحبه.

عباد الله! كونوا من الرياء على حذر؛ فهو مرض خطير جداً، والله ﷻ ـ لخطورة الرياء ـ حذر عباده منه، في القرآن الكريم، والرسول ﷺ ـ لخطورة الرياء ـ حذر أمته منه يقول الله ﷻ: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴿٧﴾﴾ [الماعون: ٤ ـ ٧]، فبين الله ـ عزّ وجلّ ـ لعباده أنه أعد للمرائين الويل والعذاب الأليم.

وقال ـ تعالى ـ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ﴾ [البقرة: ٢٦٤]. فبين الله لعباده أن الرياء يحبط الأعمال.

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِم بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾﴾ [الأنفال: ٤٧]. فبين الله لعباده أن الرياء من شيم الظلمة والجبابرة والمتكبرين.

وقال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾﴾ [النساء: ١٤٢]، فبين الله لعباده أن الرياء من شيم المنافقين، والرسول ﷺ يقول:

---

(١) **صحيح لغيره**: طب: (٢٠/ ١١٩)، [«ص.غ.هـ» (٢٨)].

(٢) **صحيح**: حم: (٢/ ٢٢٣)، طس: (٥/ ١٧٢)، هب: (٥/ ٣٣١)، [«ص.غ.هـ» (٢٥)].

«**ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدَّجال؟**» فقلنا: بلى يا رسول الله، فقال: «**الشرك الخفي أن يقوم الرجل فيصلي، فيزين صلاته لما يرى من نظر رجل**»[(١)].

فاعتبروا يا عباد الله، فهذا يقوم يصلي ويزين صلاته، ويخشعَ فيها، لأنه يعلم بأن هناك رجلاً ينظر إليه، ويقول ﷺ: «**يا أيها الناس، إياكم وشرك السرائر**»، قالوا: يا رسول الله، وما شرك السرائر؟ قال: «**يقوم الرجل فيصلي فيزين صلاته جاهداً لما يرى من نظر الناس إليه، فذلك شرك السرائر**»[(٢)]. وقال ﷺ محذراً من الرياء: «**ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه**»[(٣)]، أي: أن المرائي الذي يريد بأعماله الدنيا فقط يُفْسِدُ دينه كإفساد الذئبان الجائعان إذا أرسلا في غنم، وقال ﷺ: «**بشر هذه الأمة بالسناء والدين والرِّفعة والتمكين في الأرض، فمن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا لم يكن له في الآخرة من نصيب**»[(٤)]، وقال ﷺ: «**إنما ينصرُ الله هذه الأمة بضعيفها؛ بدعوتهم، وصلاتهم، وإخلاصهم**»[(٥)].

عباد الله! إنّ المرائي مجرم في حق ربه، وذلك لأن الله ﷻ خلقه لعبادته، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات: ٥٦]، وأمره الله ﷻ أن يخلص في العبادة له وحده سبحانه، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة: ٥]، وقال

---

(١) **حسن**: هـ: (٤٢٠٤)، [«ص.غ.هـ» (٣٠)].

(٢) **حسن**: خز: (٩٣٧)، ش: (٢/ ٢٢٧)، هب: (٣/ ١٤٤)، هق: (٢/ ٢٩٠)، [«ص.غ.هـ» (٣١)].

(٣) **صحيح**: ت: (٢٣٧٦)، حم: (٣/ ٤٥٦)، مي: (٢٧٣٠)، حب: (٣٢٢٨)، ش: (٧/ ٨٤)، هب: (٧/ ٢٦٧)، [«ص.ج» (٥٦٢٠)].

(٤) **صحيح**: حم: (٥/ ١٣٤)، حب: (٤٠٥)، ك: (٤/ ٣٤٦)، هب: (٧/ ٢٨٧)، [«ص.غ.هـ» (٢٣)].

(٥) **صحيح**: ن: (٣١٧٨)، هق: (٣/ ٣٤٥) [«ص.ج» (٢٣٨٨)].

ـ تعالى ـ: ﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعۡبُدُ مُخۡلِصٗا لَّهُۥ دِينِي ١٤﴾ [الزمر: ١٤]، ومع ذلك عمل المرائي، وابتغى بعمله غير الله، فهو بذلك مجرم.

• المرائي مجرم في حق نفسه، لأنه ابتغى بأعماله غير الله فجاء يوم القيامة فلم يجد لأعماله ثواباً، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَقَدِمۡنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنۡ عَمَلٖ فَجَعَلۡنَٰهُ هَبَآءٗ مَّنثُورًا ٢٣﴾ [الفرقان: ٢٣]، فخسر الدنيا والآخرة وذلك هو الخسران المبين، حيث أضاع نفسه وأهلكها.

• المرائي مجرم في حق الأُمّة، لأن الإخلاص سبب لنصر الأمة، والرياء سبب لهزيمة الأمة، فإذا كثر المراءون في هذه الأمة تسببوا في هزيمة الأمة، وأظن يا عباد الله أن الأمة نزلت إلى أسفل مستوى بسبب كثرة المرائين فيها.

عباد الله! نقول للمرائي: أيها المرائي، اتقِ الله، إذ كيف تبتغي بعملك غير الله؟! والله ﷻ أمرك بالإخلاص فقال: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ﴾ [التوبة: ٣١].

• أيها المرائي، كيف تبتغي بأعمالك غير الله؟! والرسول ﷺ يقول لك: «**إنما الأعمال بالنية، وإنما لامرىءٍ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها، أو امرأة يتزوّجها، فهجرته إلى ما هاجر إليه**»(١).

• أيها المرائي، اتقِ الله، واعلم أنك خارج من هذه الدنيا، وداخل إلى القبر، وانظر إلى الذي يدخل معك في قبرك، ويكون معك يوم القيامة في أرض المحشر، وعلى الصراط، وفي الجنة، يقول ﷺ: «**يتبع الميت ثلاثة، فيرجع اثنان ويبقى واحد، يتبعه أهله، وماله، وعمله، فيرجع أهله وماله، ويبقى عمله**»(٢).

---

(١) **صحيح**: خ: (١)، م: (١٩٠٧).
(٢) **صحيح**: خ: (٦١٤٩)، م: (٢٩٦٠).

• أيها المرائي، تذكر أنك راجع إلى الله وواقف بين يدي الجبار يوم القيامة أيها المرائي:

مَثِّلْ وقوفكَ يَومَ العَرْضِ عُريانا   مُستوحشاً قَلِقَ الإحشاءِ حَيْرانا
والنارُ تلهبُ من غيظٍ ومن حنقٍ   على العصاة وَربُ العرشِ غضبانا
اقرأْ كتابكَ يا عبدي على مَهَلٍ   فهل ترى فيه حرفاً غيرَ ما كانا
لما قرأتَ ولم تُنْكرْ قراءتَه   إقرارَ من عرفَ الأشياءَ عرفانا
نادى الجليلُ خذوهُ يا ملائكتي   وامضوا بعبدٍ عصى للنار عطشانا
المجرمون غداً في النار يلتهبوا   والمؤمنون في دار الخلد سكانا

أمة الإسلام! كونوا من الرياء على حذر، واحذروا مجالس المرائين، الرياء مرض خطير يخفى على صاحبه، فعليكم بمصاحبة الأخيار، وعليكم بالإخلاص، فالإخلاص هو سر النجاح، واعلم يا عبد الله أنك راجع إلى الله فاحرص على الحسنات واعمل لله فهو الغني وأنت الفقير وهو الذي يثيبك يوم القيامة على أعمالك.

اللهم رد المسلمين إلى دينك ردّاً جميلاً

❁ ❁ ❁

١٩٢

المجرم السادس ـ المرابي

عباد الله! لا زلنا في صدد الحديث عن المجرمين، **وفي هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ نتحدّث عن المجرم السادس، أتدرون من هو يا عباد الله؟ إنه «المرابي»؟**

أمة الإسلام! **أتعرفون المرابي؟**

- إنه مَنْ يأكل الربا.
- إنه من يتعامل بالربا.
- إنه من يعمل في المؤسسات الربوية.
- إنه من يُقرض ماله للناس بالفائدة.
- إنه من يضع أمواله في المؤسسات الربوية ليرابي بها.
- إنه من يبيع ويشتري بالربا.

عباد الله! المرابي مجرم، يُبعث يوم القيامة من قبره كالمصروع الذي يتخبطه الشيطان من المس، قال ـ تعالى ـ: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾﴾ [البقرة: ٢٧٥].

أمة الإسلام! المرابي مجرم توعده الله ﷻ بنار حامية، فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٥]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿١٣١﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ [آل عمران: ١٣١، ١٣٢].

عباد الله! المرابي مجرم، ومصيره إلى الدمار، مصيره إلى الهلاك، مصيره إلى قلة، قال ـ تعالى ـ: ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾﴾ [البقرة: ٢٧٦].

وأظنكم يا أمة الإسلام قد نظرتم إلى الذين أكلوا الربا وتبين لكم كيف محق الله أموالهم، فمنهم مَنْ أصابه الفقر، ومنهم مَنْ أنفق هذا المال على نفسِه بسبب الأمراض الفتاكة التي نزلت به. ومنهم مَنْ كانت نهايته السجن ومن يذهب منكم إلى السجون فليسأل كم في السجن من المرابين؟!.

● هذا مصيرهم لأن الله تعالى توعدهم بأن يمحق الربا من أيديهم. قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَاْ فِيٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُواْ عِندَ ٱللَّهِۖ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [الروم: ٣٩]. ويقول ﷺ: «**ما أحدٌ أكثر من الربا إلّا كان عاقبة أمره إلى قلة**»[(١)]، أي: الربا وإن كثر، وإن علا وملأ البيوت، وملأ الجيوب، ووصلت الأرصدة في البنوك إلى ما لا يعلمه إلا الله فإنّ مصيره ما يخبرنا الرسول ﷺ به «**عاقبة أمره إلى قلة**» وقد رأينا ذلك، رأينا تجاراً كان يُشارُ لهم بالبنان وكانوا يلعبون بالملايين حتى افتتن الناس بهم، وظنوا أنهم يجمعون هذا المال من الحلال، وإذا بنا نراهم إما احتالوا وفروا إلى بلاد الكفر، وإما أنهم سكنوا المستشفيات، وإما أنهم أصيبوا بجلطة فماتوا وحُملوا إلى القبور، وإما أنهم يعيشون في السجون، فاعتبروا يا أولي الألباب.

عباد الله! المرابي مجرم عرَّض نفسه بأكل الربا للعنة الله، وكل من اقترب من الربا فهو ملعون، فالذي يضع ماله في المؤسسات الربوية ويأخذ عليه الفائدة ملعون، والذي يقترض بالرّبا ملعون، والذي يكتب عقد الربا ملعون، والذي يكفل المقترض من البنوك ويشهد على العقد ملعون وهم سواء، يقول جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: «**لعن رسول الله ﷺ آكل الربا**

---

(١) **صحيح**: هـ: (٢٢٧٩)، ك: (٤/٣٥٣)، هب: (٤/٣٩٢)، [«ص.ج» (٥٥١٨)].

وموكله، وكاتبه، وشاهديه وقال: هم سواء»[١]، أي: في الإثم، فأنت معهم سواء يا من تكفل مَنْ يأخذ الربا، ويا من ساعدت مَنْ اقترض من مؤسسات الربا، ويا من تعمل في مؤسسات الربا، ويا من وضعت أموالك في بيوت تُباع بالربا، ويا مَنْ وضعت أموالك في مؤسسات الربا، ويا مَنْ تعيش على الربا، أنت ملعون على لسان رسول الله ﷺ، فاعملوا ما شئتم إنه بما تعملون بصير.

أمة الإسلام! المرابي مجرم وظالم أعلن الله عليه الحرب، وعلى كل من يتعاملون بالربا. قال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ فَأۡذَنُواْ بِحَرۡبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَإِن تُبۡتُمۡ فَلَكُمۡ رُءُوسُ أَمۡوَٰلِكُمۡ لَا تَظۡلِمُونَ وَلَا تُظۡلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ وَإِن كَانَ ذُو عُسۡرَةٖ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيۡسَرَةٖۚ وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴿٢٨١﴾﴾ [البقرة: ٢٧٨ ـ ٢٨١].

عباد الله! ومن خلال الآيات التي قرأتها آنفاً نجد أن الله عزّ وجلّ حذّرنا وهددنا بعدة أُمور:

فالتهديد الأول: حذّر ربنا جل وعلا المرابين في هذه الآيات بهذه التهديدات فاسمع وعِ وافهم واعتبر أيها المسلم؛ ينادي ربنا جل وعلا المسلمين باسم الإيمان، بأحب الأسماء إلى قلوبهم، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾، ثم يختم ربنا الآية بقوله: ﴿إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ ليشعرنا بذلك أن الربا، وأكل الربا، والتعامل بالربا، لا يليق بالمؤمنين أبداً، ولا ينبغي أن يكون بين المؤمنين، ولا ينبغي أن يكون في مجتمعات المؤمنين، لأن المؤمن يعلم بأن الرزق على الله، لأن المؤمن يعلم أن من فرَّج عن مؤمن كربة من كرب الدنيا فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ولأن المؤمن يعلم بأن المؤمنين إخوة، ويعلم أن المؤمنين كالبنيان، ويعلم بأن المؤمنين

---

(١) **صحيح**: م: (١٥٩٨).

كالجسد الواحد، ويعلم بأن الرزق على الله، وهو يطارده كما يطارده الأجل فلا ينبغي ولا يجوز أبداً للمؤمنين أن يتعاملوا بالربا، لأن التعامل بالربا من شيم اليهود ومن أخلاقهم، فاليهود هم الذين أغرقوا الدنيا من مشرقها إلى مغربها في الربا، أما تنظرون إلى البنك الدولي الذي يقرض البلاد والدول الفقيرة؟ انظروا إلى الأموال التي فيه لِمَنْ هي؟ وانظروا إلى القائمين عليها إنهم من تجار اليهود، فهم من يقومون بتأسيس وتنشيط معاملات الربا في كل الدنيا قديماً وحديثاً، فلذلك يقول الله عز وجل في وصف اليهود: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدْ نُهُواْ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦١﴾﴾ [النساء: ١٦٠، ١٦١].

التهديد الثاني: يؤخذ من قوله ـ تعالى ـ: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾، فإنه دليل على أن الذي يتعاطى الربا لا يتقي الله، ولا يخاف من الله، ومن لا يتقي الله ولا يخاف من الله، قد عرض نفسه لغضب الله.

التهديد الثالث: يأمر ربنا جل وعلا بترك الربا: ﴿وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾، أي: اتركوا ما بقي من الربا، وهذا أمر، والأمر يفيد الوجوب، فدل على أن الذي يتعاطى الربا قد عصى أمر الله.

التهديد الرابع: أن الله سبحانه وتعالى أعلن الحرب على من لم يترك التعامل بالربا ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ﴾، أي: لم تتركوا الربا ﴿فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ يا من تأكلون الربا أتقدرون على حرب الله؟ إنها حرب على أعصابكم، حرب على سعادتكم في هذه الحياة، حرب على صحتكم، حرب على الأولاد، حرب على أموالكم.

التهديد الخامس: سَمى ربنا جل وعلا آكل الربا ظالماً، قال ـ تعالى ـ: ﴿فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾.

التهديد السادس: أنذر سبحانه المرابين يوم القيامة فقال لهم: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾، ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ

﴿١٨﴾ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾﴾ [الانفطار: ١٧ ـ ١٩].

عباد الله! المرابي مجرم، لأنه بأكله للربا اقترف جريمة أشد من فاحشة الزنا في المحارم. نعم إن جريمته هذه أشدّ عند الله من جريمة الذي يزني بأمه أو أخته أو عمته أو خالته، مع أن الزنا حرام ـ كما تعلمون ـ وفاحشة عظيمة، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾﴾ [الإسراء: ٣٢]، والزنا بالمحارم: بالأم أو الأخت أو العمة أشد فاحشة، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٢٢﴾﴾ [النساء: ٢٢]، والذي يأكل الربا إثمه أشد من الذي يزني بمحارمه، يقول ﷺ: «**درهم ربا يأكله الرجل وهو يعلم أشد من ستة وثلاثين زنية**»[1]. درهم ربا!! فماذا تقول لربك يا من أكلت الألوف والملايين؟ درهم ربا!! فماذا تقول لربك يا من بنيت بيتك بالربا؟ درهم ربا!! فماذا تقول لربك يا من ربيت أولادك على الربا؟ ويقول ﷺ: «**الربا ثلاث وسبعون باباً، أيسرها مثل أن ينكح الرجل أمه**»[2]، أبعد ذلك تُصِّر على أكل الربا؟ أفي قلبك إيمان أيها المسلم، الربا ثلاثة وسبعون باباً أيسرها، أهونها وأخفها كالذي ينكح أمه، فما بالكم بمن دخل في الربا مِنْ جميع أبوابه؟! فيا آكل الربا، ماذا عساك تقول لربك يوم القيامة؟!

عباد الله! المرابي مجرم يمتص دماء الفقراء والمساكين والمحتاجين، ولذلك رآهُ النبي ﷺ في المنام وهو يسبح في نهر من دم، انظروا إلى المؤسسات الربوية كيف فعلت بالناس، لقد قضت على الناس، وهذا عقاب من الله للناس، لأنه حذرهم أن يقترضوا من المؤسسات الربوية، ومع ذلك أخذوا الربا وبنوا البيوت، فامتصّ المرابون دماء الفقراء، وقد

---

(١) **صحيح**: حم: (٥/ ٢٢٥)، قط: (٣/ ١٦)، طس: (٣/ ١٢٤)، هب: (٤/ ٣٩٣)، [«ص.غ.هـ» (١٨٥٥)].

(٢) **صحيح لغيره**: ك: (٢/ ٤٣)، هب: (٤/ ٣٩٤)، [«ص.غ.هـ» (١٨٥١)].

أخبر النبي ﷺ أصحابه عمّا رآه في منامه ، فكان مما قال لهم: «**فأتينا على نهر أحمر مثل الدم، وإذا في النهر رجل سابح يسبح، وإذا على شطّ النهر رجلٌ قد جمع عنده حجارة كثيرة، وإذا ذلك السابح يسبح ما يسبح ثم يأتي ذلك الذي قد جمع عنده الحجارة، فيفغر له فاه فليقمه حجراً، فينطلق يسبح ثم يرجع إليه، كلّما رجع إليه فغر له فاه فألقمه حجراً**، قال: **قلت لهما: ما هذان؟...**» ثم أخبرا ﷺ فقالا له: «**فإنه آكل الربا**»(١).

عباد الله! المرابي مجرم في حق ربه، مجرم في حق نفسه وأولاده، مجرم في حق الناس، مجرم في حق مجتمعه.

● مجرم في حق ربه، لأن الله أمره أن يترك الربا، ونهاه عن أكل الربا فلم يستجب لأمره ولا لنهيه، والله ﷻ يقول: ﴿وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلٗا مُّبِينٗا﴾ [الأحزاب: ٣٦].

● المرابي مجرم في حق نفسه وأولاده، لأنه أكل الحرام، وأطعم أولاده الحرام، ويقول ﷺ: «**كل جسد نبت من سحت فالنار أولى به**»(٢)، فماذا عساه يقول لربه يوم القيامة إذا سُئل عن أولاده وعن نفسه لِمَ أكلت الحرام؟ والله ﷻ يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ﴾ [البقرة: ١٧٢].

● المرابي مجرم في حق الناس، لأنه يمتص دماءهم بأخذه لأموالهم.

● المرابي مجرم في حق مجتمعه، لأن الربا إذا انتشر في مجتمع كان مصيره إلى الذل والصغار، يقول ﷺ: «**إذا تبايعتم بالعينة** ـ وهي نوع من أنواع الربا ـ **وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع** ـ أي: رضيتم بالدنيا ـ **وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه** ـ أي: عنكم ـ **حتى ترجعوا إلى دينكم**»(٣). وأكْل الربا سبب لنزول العذاب من الله، يقول ﷺ:

---

(١) **صحيح**: خ: (٦٦٤٠).

(٢) **صحيح**: هب: (٥/٥٦)، حل: (١/٣١)، [«ص.ج» (٤٥١٩)].

(٣) **صحيح**: د: (٣٤٦٢)، هق: (٥/٣١٦)، حل: (٥/٢٠٩)، [«س.ص» (١١)].

«**إذا ظهر الزنا والربا في قرية فقد أحلوا بأنفسهم عذاب الله**»[١].

عباد الله! أيستطيع كل منكم الآن أن يجيب على هذا السؤال، لماذا هذا الضنك، ولماذا هذا الكرب والبلاء والذل الذي أصاب الناس في كل مكان؟ ما السبب؟ السبب لأنهم أكلوا الربا، وتعاملوا بالربا، واستحلوا الربا، والجزاء من جنس العمل ولا يظلم ربك أحداً.

عباد الله! نقول للذين يأكلون الربا أو الذين تسوّل لهم أنفسهم أن يأخذوا من الربا أو أن يعملوا في مؤسسات الربا، أو أن يضعوا أموالهم في المؤسسات الربوية ليعيشوا بالفائدة، نقول لهم: هذا ربا، والربا حرام ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ [البقرة: ٢٧٥]، فالربا حرام، والربا من الموبقات، يقول ﷺ: «**اجتنبوا السبع الموبقات**»، قالوا: يا رسول الله، وما هنّ؟ ـ فذكر منها ـ: «**وأَكْل الربا**»[٢].

فالربا حرام، حرّمه الله في كتابه، وحرمه رسول الله ﷺ في سنته، فمن استحل الربا وأكله على أنه حلال، فتعامل بالربا، واستحل هذه المعاملة فهو كافر خارج عن ملة الإسلام إن مات لا يغسل ولا يكفن ولا يصلى عليه ولا يدفن في مقابر المسلمين.

أمّا من استحل الربا، وزعم أنه حلال، وبنى ذلك على ما يسمع من أعداء الإسلام الذين يكتبون ويقررون أن الربا كان حراماً في الجاهلية، وكان حراماً في العهد الأول للإسلام، أما الآن فالمعاملات والتجارة بين الناس لا يمكن أبداً أن تكون إلا عن طريق الربا ويُستحِلُّون الربا بذلك، فنقول له: الربا حرام إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

• والعلاج والجواب: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢، ٣]. واعلم يا آكل الربا أن الرزق على الله، واعلم أن الرزق يطاردك كما يطاردك الأجل، فإذا علمت وأيقنت أنك لن

---

(١) **صحيح**: ك: (٢/٤٣)، طب: (١/١٧٨)، هب: (٤/٣٩٧)، [«ص.ج» (٦٧٩)].
(٢) **صحيح**: خ: (٢٦١٥)، م: (٨٩).

تموت إلا إذا انتهى الأجل، فاعلم واللهِ أنك لن تموت كذلك إلا أن تتحصل على الرزق الذي كتبه الله لك، فإن علمتم يا عباد الله ذلك فأجملوا في الطلب، واطلبوا رزق الله بطاعة الله، وابتعدوا عن معصية الله.

• واعلم أيها المرابي أن الموت يأتي بغتة، وأنك ستندم عند الموت، وتتمنى أن تعود إلى الدنيا لتتوب من الربا فيقال لك عندها: كلا.

• واعلم أيها المرابي أنك راجع إلى الله ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٨١]، فاعلم أنك راجع إلى الله، وواقف بين يدي الله، ولن تزول قدمك حتى تسأل عن أربع منها: عن مالك من أين اكتسبته؟ وفيم أنفقته؟.

• أيها المرابي، أعِدَّ لهذا السؤال جواباً من أين اكتسبت المال؟ وأين أنفقته؟ وانظروا إلى الذين يتعاملون بالربا ويأكلون الحرام، لترونهم يجمعون المال من الحرام وينفقونه في معصية الله، في شراء (الستالايت)، في السفر إلى بلاد الكفر لإنفاق هذا المال على البغايا، وشرب الخمر، والدخان.

• أيها المرابي، اعلم أنك واقف بين يدي الله لتُسْأل عن الرعية التي استرعاك الله إياها، قال ﷺ: «**ألا كلكم راع، وكلكم مسئول عن رعيته**، ـ وذكر ـ **والرجل راعٍ على أهل بيته وهو مسئول عن رعيته**»[(١)]، فما ذنب الأطفال الصغار الذين تطعمهم الربا وتربيهم لجهنم؟!

فيا أيها المرابي، اتقِ الله في نفسك، وفي مالك، وفي زوجتك وأولادك، فأنت خارج من الدنيا وتارك لهذا المال خلفك.

اللهم تب علينا من الربا وباعد بيننا وبينه

❁ ❁ ❁

---

(١) **صحيح**: خ: (٦٧١٩)، م: (١٨٢٩).

١٩٣

المجرم السابع ـ المصر على المعاصي

عباد الله!

تبين لنا من حديثنا الماضي أن الله ﷻ أعد النار لتعذيب المجرمين جزاءً وفاقاً، ولا يظلم ربك أحداً، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾﴾ [الزخرف: ٧٤ ـ ٧٦].

عباد الله! وتبين لنا أن من كان في هذه الدنيا مجرماً دخل النار، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾﴾ [طه: ٧٤].

عباد الله! **وفي هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ سنتحدّث عن المجرم السابع، أتدرون من هو يا عباد الله؟ إنه «المصر على المعاصي».**

أمة الإسلام! أتعرفون المصرّ على المعاصي؟ إنه الذي يأكل الربا ويصر على أكل الربا، إنه الذي يزني ويصر على الزنا، إنه الذي ترك الصلاة ويُصر على ترك الصلاة، إنها المتبرجة وتصر على التبرج، إنه من يبارز الله بالمعاصي بالليل والنهار ولا يفكر بالتوبة والرجوع إلىٰ الله.

عباد الله!

• المصرّ على المعصية ظالم، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الحجرات: ١١]، أي: ومن أصر على المعصية بعد أن عرف أنها حرام، وأن الواجب عليه أن يتوب منها، ولم يتب فأولئك هم الظالمون.

• المصرّ على المعصية ملعون، قال ـ تعالى ـ: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟

وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُۚ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [المائدة: ٧٨، ٧٩].

• المصرّ على المعاصي إذا تاب على فراش الموت أغلقت في وجهه أبواب التوبة، وردت توبته عليه، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌۚ أُوْلَـٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾﴾ [النساء: ١٨]، أي: ليس للذين يصرون على المعاصي حتى الموت توبة.

• المصرّ على المعاصي مصيره إلى النار، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَأَصْحَـٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَـٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُواْ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾﴾ [الواقعة: ٤١ ـ ٤٦]. وقال ـ تعالى ـ: ﴿إِلَّا بَلَـٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَـٰلَـٰتِهِۦۚ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾﴾ [الجن: ٢٣]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَـٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٨١﴾﴾ [البقرة: ٨١]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [النمل: ٩٠]. وقال ﷺ: «**كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى**»، قالوا: يا رسول الله ومن يأبى؟ قال: «**من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى**»[(١)].

• المصر على المعاصي يأبى أن يرجع إلىٰ الله، المصرُ على المعصية قرر أن يستمر على مبارزة الله بالمعاصي حتى يلقىٰ الله، فالويل لك أيها المصر على المعاصي!!

عباد الله! اعلموا أن الإصرار على المعاصي سبب للهلاك والدمار على مستوى الفرد والأسرة، وعلى مستوى الشعوب والأمم، فالفرد إذا أصر على معصية الله فالهلاك، الهلاك، والأسرة إذا أصرت على معصية

---

(١) **صحيح**: خ: (٦٨٥١).

الله فالهلاك الهلاك والشعب والأمة إذا أصروا على معصية الله فالهلاك الهلاك. والعاقل من اعتبر بغيره، والله ﷻ يخبرنا عن الأمم الذين مضوا قبلنا وأنهم لما أصرّوا على المعاصي أهلكهم الله وأبادهم، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱرْجُوا۟ ٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٣٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْ ۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُوا۟ مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُوا۟ سَٰبِقِينَ ﴿٣٩﴾ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [العنكبوت: ٣٦ ـ ٤٠]. وقد حذرنا ربنا في كتابه من أن نسلك سبيل هؤلاء، وأن نصر على المعصية، وأن نبارز الله بالمعاصي، فقال ـ تعالى ـ: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ﴿٧﴾ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾﴾ [الفجر: ٦ ـ ١٤]. يا آكل الربا، يا شارب الخمر، يا أيها القاطع للرحم، يا تارك الصلاة، يا أيتها المتبرجة، يا أيها المفسد في الأرض إن ربك لبالمرصاد. ثم قال تعالى محذراً: ﴿أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٧﴾ كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾﴾ [المرسلات: ١٦ ـ ١٨].

أمة الإسلام! كذلك نفعل بالمجرمين المصرين على المعصية، وعلى الكفر والشرك، ثم يقول ربنا جل وعلا موبخاً ومحذراً: ﴿وَسَكَنتُمْ فِى مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾﴾ [إبراهيم: ٤٥]. واللهِ لقد سكنا في مساكن الذين ظلموا أنفسهم، وتبين لنا كيف فعل ربنا بهم وضرب لنا الأمثال كما سمعتم، ولكن هل دفعنا ذلك إلى التوبة والرجوع إلى الله؟! ولذلك بعد أن قص

علينا ربنا جل وعلا في كتابه كيف انتقم من المصرين على المعاصي قال محذراً إيّانا: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [هود: ١٠٢]، ثم قال تعالى محذراً أيضاً: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [الأنعام: ٦٥]. نعم، يأتي العذاب من أسفل ومن أعلى كما نرى: براكين وزلازل، وأمراض، كل هذا بسبب المعاصي والإصرار على المعاصي.

عباد الله! كم حذرنا من وسائل الفساد إلا أنها ازدادت في بيوت المسلمين وبلادهم! فإنّا لله وإنا إليه راجعون، كم حذّرنا من التبرج لكنه ازداد في شوارع المسلمين!! كم حذّرنا من الربا لكن الكثيرين أقبلوا على الربا، ما الذي أصابنا يا عباد الله؟ هل نؤجّل التوبة إلى أن ينزل بنا العذاب؟! وعندها لن ينفع الندم، ولن تنفع التوبة، قال ـ تعالى ـ: ﴿فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا ۖ﴾ [غافر: ٨٥].

عباد الله! الإصرار على المعاصي سبب للهلاك والدمار، الإصرار على المعاصي سبب لزوال النعم على مستوى الأفراد والجماعات والشعوب، إذا أصر الناس على معصية الله زالت النعم من بين أيديهم، واعتبروا بمن قص الله عليكم خبرهم في القرآن، قال ـ تعالى ـ: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِى مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ ۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ ۖ كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ ۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا۟ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟ ۖ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴿١٧﴾﴾ [سبأ: ١٥ ـ ١٧]. وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [النحل: ١١٢]. انظر للذي أصابهم: حلَّ بهم بعد الشبع جوع، وبعد الأمن خوف، جزاءً وفاقاً ولا يظلم ربك أحداً.

ابن آدم!

إذا كنتَ في نعمةٍ فارْعَها … فإنَّ المعاصي تُزيلُ النِّعَمْ

وحافظْ عليها بشكرِ الإلهِ … فإنَّ الإلهَ شديدُ النِّقَمْ

عباد الله! المعاصي سبب لانتشار الفساد في البر والبحر؛ فإذا أصر الناس على معصية الله ظهر الفساد في البر والبحر، كما نرى ذلك بأُم أعيننا ولا يختلف في ذلك اثنان، فالأسماك تموت في البحر بسبب معاصينا، والطيور تموت في أوكارها بسبب معاصينا، قال ـ تعالى ـ: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾﴾ [الروم: ٤١].

عباد الله! فساد في الأخلاق وفساد في السلوك قد انتشر، وفساد في النساء، وفساد في الأولاد قد انتشر، فساد في البيع والشراء والمعاملات، السبب: المعاصي والإصرار عليها، يقول ﷺ مذكراً ومحذراً: «**يا معشر المهاجرين! خصال خمس إذا ابتليتم بهن وأعوذ بالله أن تدركوهن:**

١ ـ لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا.

٢ ـ ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أُخذوا بالسنين، وشدة المؤنة، وجور السلطان عليهم.

٣ ـ ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا مُنعوا القطر من السماء، ولولا البهائم لم يمطروا.

٤ ـ ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلط الله عليهم عدوّهم من غيرهم فأخذوا بعض ما كان في أيديهم.

٥ ـ وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله ﷻ، ويتحرَّوا فيما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم»[1].

---

(١) **صحيح**: هـ: (٤٠١٩)، ك: (٤/ ٥٨٢)، طس: (٥/ ٦١)، هب: (٣/ ١٩٦)، حل: (٨/ ٣٣٤)، [«ص.ج» (٧٩٧٨)].

عباد الله! إن الكثير من الفواحش اليوم قد ظهرت: زنا، لواط، تبرج، فالزاني يزني ولا حياء، واللواط انتشر، وهو أن يأتي الرجل رجلاً مثله شهوةً، ثم ها هي المتبرجة تسير في الشوارع بلا حياء وتعلن التبرج بين النساء! فلمّا ظهرت الفاحشة بيننا فشا فينا الطاعون، والأمراض الخطيرة، وفشت فينا الأوجاع، والأمراض التي لم تكن مضت في أسلافنا الذين مضوا، هل كان أسلافنا الذين مضوا يسمعون عن الإيدز؟ لقد انتشر اليوم ـ وللأسف الشديد ـ في بلاد المسلمين فهل وقعت الفاحشة وانتشرت الأمراض؟ الجواب: نعم، فاللهم سَلِّم سَلِّم.

الثانية ـ ولم ينقصوا المكيال.....:

أي: الغش في البيع والشراء، والعقاب: «أخذوا بالسنين»، بالفقر والضيق في المعيشة، وقلة الأموال، وإذا جلست في مجالس المسلمين اليوم في كل مكان تجدهم يشتكون الفقر، حتى الغني يشتكي الفقر قبل الفقير! فالضنك والعذاب والفقر مرتبط بمعصية الله، والحياة الطيبة مرتبطة بطاعة الله، قال ـ تعالى ـ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: ٩٧]. انظر، فهكذا ربط الله بين الحياة الطيبة وبين الأعمال الصالحة، وربط سبحانه وتعالى كذلك بين المعاصي وحياة الضنك، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ [طه: ١٢٤].

الثالثة ـ ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء:

واليوم الأغنياء الذين يملكون نصاب الزكاة كثير، والذين يخرجون الزكاة ويتقون الله منهم قليل، فالأكثرية منعت الزكاة، ولمّا منعوا الزكاة مُنعوا المطر، والمطر الذي نزل من السماء أنزله الله من أجل البهائم التي لم تقترف المعاصي، ولعلّكم تسمعون عن بعض البلاد الإسلامية التي لم ينزل عليها المطر هذا العام ولا مرة واحدة جزاء وفاقاً ولا يظلم ربك أحداً.

الرابعة ـ ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلط الله عليهم عدوهم:

وقد نقضنا العهد مع الله، ومع رسوله ـ إلا من رحم ربي ـ فكان العقاب من الله أن سلط علينا الكفرة ـ الذين كانوا لا يَجْرؤون أن يتكلموا إذا تكلم أهل الإسلام ـ فأخذوا بعض ما كان في أيدي المسلمين من الخيرات، فهم اليوم يأخذون خيرات المسلمين، ويتحكمون في المسلمين، إذا شاءوا أن يحاصروا بلداً ما حاصروها، وإذا شاءوا أن يقاتلوا بلداً ما قاتلوها، ونحن نسمع وكأننا لا نسمع!!

الخامسة ـ ولم تحكم أئمتهم بكتاب الله ﷻ إلا جعل الله بأسهم بينهم:

ها نحن اليوم وقد ابتعدنا عما أنزل الله، وتحاكمنا إلى القوانين الوضعية، ورضينا بها وتركنا حكم الله فجعل الله بأسنا بيننا على مستوى الأفراد والجماعات الإسلامية والشعوب والأمم، أصبحنا أشداء لكن على بعضنا على بعض! والواجب على المسلمين أن يكونوا رحماء فيما بينهم أشداء على الكفار، لكن العكس موجود بيننا اليوم فنحن أشداء بعضنا على بعض، رحماء على الكفار إلَّا منْ رحم ربي!.

عباد الله! الإصرار على المعاصي جريمة، والمصر على المعصية مجرم، ونقول للمصرين على المعاصي حتى الآن: ما الذي يمنعكم من الرجوع إلى الله؟ ما الذي يمنعكم من التوبة؟ ماذا تنتظرون؟ هل تنتظرون إلا فقراً منسياً قد حل بكم، أو غنىً مطغياً، أو مرضاً مفسداً، أو هرماً مفنداً، أو موتاً مجهزاً، أو الدجال فشر غائب ينتظر، أو الساعة فالساعة أدهى وأمر؟!

• أيها المصر على المعصية ماذا تنتظر؟ تنتظر أن ينزل عليك العذاب من الله بغتة، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحۡسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن

رَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [الزمر: ٥٤، ٥٥]. وقال ـ تعالى ـ: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَ أَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [الأعراف: ٩٧ ـ ٩٩].

• أيها المصر على المعصية، يا آكل الربا، يا شارب الخمر، يا أيتها المتبرجة، ماذا تنتظرون؟ أتنتظرون أن ينزل عليكم ملك الموت ليقول أحدكم عندها: ﴿رَبِّ ٱرْجِعُونِ﴾ [المؤمنون: ٩٩].

• أتنتظر أن تحمل على الأعناق إلى القبور حتى إذا ما وُضِعْتَ في الحفرة وحدك فسُئلت عن ربك، وعن دينك، وعن الرجل الذي بُعث فيكم، قلت: ها ها لا أدري!؟.

• أتنتظر يوم أن تخرج من القبر تعض على أصابع الندم، وتقول: يا ليتني قدمت لحياتي!؟.

• أتنتظر أن تكون من أهل النار فتقول: ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ﴾ [فاطر: ٣٧]!؟.

• أيها المصر على المعصية، أنصحك أن تفكر قبل أن تندم، إلى متى هذا الإصرار على المعصية؟! إلى متى هذه الذنوب؟! أما يكفي ما اقترفت؟!

• واعلم أيها المصر على المعصية لعلك أن تتوب:

ـ اعلم أن الله يغفر الذنوب جميعاً.

ـ واعلم أيها المصر على المعاصي أن الله يفرح بتوبة العبد إذا تاب إليه.

واعلم أيها المصر على المعاصي أن الله يبدل سيئات التائب إلى حسنات.

اللهم رد المسلمين إلى دينهم ردّاً جميلاً

١٩٤

المجرم الثامن ـ المبتدع في دين الله

عباد الله! النار أعدها الله لتعذيب المجرمين جزاءً وفاقاً.

لا زلنا في صدد الحديث عن المجرمين، **وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع المجرم الثامن، أتدرون من هو يا عباد الله؟ إنه «المبتدع في دين الله»**.

المبتدع في دين الله هو الذي ابتدع أو اخترع طريقة في العبادة، أو اخترع وابتدع عبادة يقصد بها التقرب إلى الله ﷻ، ولم يقم على صحتها دليل من الكتاب والسنة.

والبدع قد انتشرت وعمت في بلاد المسلمين، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

عباد الله! إن البدع التي انتشرت في هذه الدنيا منها ما هو بدعة حسنة، ومنها ما هو بدعة قبيحة، أما الابتداع في الدين فكلّه ضلال، هذه البدعة وصاحبها في النار، كما قال ﷺ: **«وكل بدعة ضلالة»**[١]، **«وكل ضلالة في النار»**[٢].

عباد الله! من ابتدع في الدين بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمداً ﷺ خان الرسالة.

---

(١) **صحيح**: م: (٨٦٧).

(٢) **صحيح**: ن: (١٥٧٨)، خز: (١٧٨٥)، طب: (٩/ ٩٧)، حل: (٣/ ١٨٩)، [«ص،ج» (١٣٥٣)].

١ ـ المبتدع في دين الله عمله مردود عليه، يقول ﷺ: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**»[(١)]. وخاصة أولئك الذين يحسِّنون البدع وينشرونها بين الناس ويدافعون عنها. يقول الله ﷻ عن هؤلاء: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾ [الكهف: ١٠٣، ١٠٤].

٢ ـ المبتدع في دين الله حجبت عنه التوبة حتى يدع بدعته، ولذلك فإننا نخشى على أصحاب البدع من سوء الخاتمة، يقول ﷺ: «**إن الله حجب التوبة عن كل صاحب بدعة حتى يدع بدعته**»[(٢)]، ولهذا فإنك ترى المبتدع في دين الله مصرّ على بدعته حتى يموت.

فقد رأينا كثيراً من المبتدعة ماتوا على بدعهم لأنهم ظنوا أنهم يُحْسِنون صنعاً، وظنوا أنهم يتقربون ببدعتهم تلك إلى الله، ولذلك حببت البدعة إلى الشيطان أكثر من المعصية أتدرون لماذا؟ لأن الإنسان إذا عصى الله عرف أنه قد عصى الله فتاب من معصيته إلى الله فتاب الله عليه، أما المبتدع فإنه لا يرى من نفسه أنّه قد عصى الله، ولذلك تراه يصرّ على بدعته وينشرها بين الناس، ويدافع عنها بكل ما يملك من قوة فيحرم بذلك من التوبة من بدعته فيختم له بسوء الخاتمة.

٣ ـ المبتدع في دين الله ملعون، يقول ﷺ: «**من أحدث فيها حدثاً أو آوى محدثاً فعليه لعنةُ الله والملائكة والناس أجمعين**»[(٣)].

٤ ـ المبتدع في دين الله محروم يوم القيامة من أن يرد حوض النبي ﷺ، محروم يوم القيامة من أن يشرب من يد رسول الله ﷺ شربة هنيئة، يقول ﷺ: «**أنا فرطكم على الحوض، ليرفعن إليّ رجال منكم حتى إذا أهويت لأناولهم اختلجوا دوني فأقول: أي رب، أصحابي؟ يقول: لا**

---

(١) **صحيح**: م: (١٧١٨)، خ: (٢٥٥٠).

(٢) **صحيح**: طس: (٤/ ٢٨١)، هب: (٧/ ٥٩)، [«ص.غ.هـ» (٥٤)].

(٣) **صحيح**: خ: (١٧٧١)، م: (١٣٧٠).

تدري ما أحدثوا بعدك»[١]، وفي رواية: «**فيقال إنك لا تدري ما بدلوا بعدك**، فأقول: **سحقاً سحقاً لمن بدل بعدي»**[٢].

٥ ـ المبتدع في دين الله عليه إثمه وإثم من عمل ببدعته إلى يوم القيامة، يقول ﷺ: «.. **ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء»**[٣]، ويقول رب العزة: ﴿لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ﴾ [النحل: ٢٥].

٦ ـ المبتدع في دين الله لا يزداد ببدعته من الله إلا بعداً، المبتدع في دين الله يظن أنه يتقرب ببدعته إلى الله وهو لا يزداد ببدعته إلا بعداً، والعاقل من اتعظ بغيره، فها هم الخوارج ابتدعوا في دين الله، ابتدعوا في العقيدة وكفّروا المسلمين وأخرجوهم من ملة الإسلام بارتكاب الكبيرة، فهؤلاء يقول ﷺ فيهم: «**تحقرون صلاتكم مع صلاتهم، وصيامكم مع صيامهم وعملكم مع عملهم**» ـ نعم، فأنت تتعجّب من اجتهادهم في العبادة ولكن انظر إلى النهاية يقول ﷺ: ـ «**يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية**»[٤]. فما زادتهم عبادتهم الكثيرة من الله إلا بعداً، ولذلك يقول رب العزة: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ ﴿١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ﴿٢﴾ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾﴾ [الغاشية: ١ ـ ٤]، عاملة ناصبة في الدنيا ومع ذلك فإنها تصلى ناراً حامية يوم القيامة.

٧ ـ المبتدع في دين الله يسودّ الله وجهه يوم القيامة، قال ـ تعالى ـ: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ﴾ [آل عمران: ١٠٦]، قال ابن عباس رضي الله عنهما:

---

(١) **صحيح**: خ: (٦٦٤٢).
(٢) **صحيح**: خ: (٦٦٤٣)، م: (٢٢٩١).
(٣) **صحيح**: م: (١٠١٧).
(٤) **صحيح**: خ: (٤٧٧١)، م: (١٠٦٤).

(تبيض وجوه أهل السنة ـ أسأل الله أن يجعلني وإياكم منهم ـ، وتسود وجوه أهل البدعة)[١].

٨ ـ المبتدع مع بدعته في نار جهنم، كان ﷺ إذا خطب الناس حمد الله وأثنى عليه ثم قال: «**من يهده الله فلا مضل له ومن يُضلله فلا هادي له، إن أصدق الحديث كتاب الله ﷻ، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار**»[٢].

أمة الإسلام! الإسلام دين كامل ونعمة تامة لا يحتاج إلى زيادة من أحد أياً كان.

● وقد أخبرنا ربنا جل وعلا في كتابه أن الإسلام دين كامل، ونعمة تامة وأمرنا بالاتباع ونهانا عن الابتداع، قال ـ تعالى ـ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾... [المائدة: ٣]. فيا أهل الأهواء والبدع هذا ديننا كامل بنص القرآن لا يحتاج إلى بدعة من أحد، فنعمة الإسلام تامة لا تحتاج إلى زيادة، فارضوا بما رضي الله لكم، واقبلوا الإسلام الذي جاء به محمد ﷺ من الكتاب والسنة، واتبعوا ولا تبتدعوا فديننا كامل ولا حجّة لنا حتى نبتدع أو أن نسلك سبلاً توصل إلى غضب الله والنار، وعليكم بسبيل الله كما قال تعالى في الآية الأخرى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام: ١٥٣]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الحشر: ٧].

أمة الإسلام! ورسولنا ﷺ قبل أن يخرج من هذه الدنيا أخبرنا أن الإسلام دين كامل، ونعمة تامة، وأنه ﷺ ما خرج من هذه الدنيا إلا وقد

---

(١) «مختصر تفسير ابن كثير» (١/ ٣٠٠).

(٢) **صحيح**: تقدم تخريجه ص٧١ هامش (٢).

دلنا على كل خير، وحذرنا من كل شر، يقول ﷺ: «**ما تركتُ شيئاً مما أمركم الله به إلا وقد أمرتكم به، ولا شيئاً مما نهاكم عنه إلا وقد نهيتكم عنه**»[١]، وقال ﷺ: «**ما تركت شيئاً يقربكم إلى الله تبارك وتعالى إلا وأمرتكم به، وما تركت شيئاً يبعدكم عن الله تعالى ويقربكم إلى النار إلا ونهيتكم عنه**»[٢]، وقال ﷺ: «**قد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك**»[٣].

فيا أيها المبتدع، إنك تهلك نفسك ببدعتك فاتق الله ﷻ وتب مما أنت مصرّ عليه، فلقد حذّر النبي ﷺ من البدع ومن محدثات الأمور، فقال ﷺ: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**»[٤]، وقال ﷺ: «**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد**»[٥].

ويقول العرباض بن سارية رضي الله عنه: وعظنا رسول الله ﷺ موعظة بليغة، وجلت منها القلوب، وذرفت منها العيون، فقلنا: يا رسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا، قال: «**أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة، وإن تأمَّر عليكم عبد حبشي، وإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة**»[٦]، أي: إياكم والبدع.

عباد الله! والصحابة رضي الله عنهم كانوا يضربون على أيدي المبتدعة بيد من حديد، وينكرون أعمالهم التي يتقربون بها إلى الله ولم يفعلها

---

(١) **إسناد مرسل حسن**: فع: (١١٥٣)، هق: (٧٦/٧)، [«س.ص» (٤١٧/٤)].
(٢) انظر: كتاب «حجة النبي ﷺ» للشيخ الألباني رحمه الله.
(٣) **صحيح**: هـ: (٤٣)، حم: (١٢٦/٤)، ك: (١٧٥/١)، طب: (٢٤٧/١٨)، [«ص.ج» (٤٣٦٩)].
(٤) **صحيح**: تقدم تخريجه ص٧١.
(٥) **صحيح**: م: (١٧١٨).
(٦) **صحيح**: د: (٤٦٠٧)، ت: (٢٦٧٦)، هـ: (٤٢)، حم: (١٢٦/٤)، مي: (٩٥)، حب: (٥)، ك: (١٧٤/١)، هق: (١١٤/١٠)، [«ص.غ.هـ» (٣٧)].

رسول الله ﷺ، أي: ينكرون على الذين ابتدعوا واخترعوا طريقة وكيفية للعبادة ما أنزل الله بها من سلطان.

يقول ابن مسعود رضي الله عنه: (اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم)(١).

وقال عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما: (كل بدعة ضلالة وإن رآها الناس حسنة)(٢).

عباد الله! انظروا إلى هذا الموقف الذي أنكر الصحابة فيه بدعة قد نراها نحن في نظرنا بسيطة، فلقد حدث أن اجتمع أُناس في المسجد لذكر الله يتقربون إلى الله، ولكن بكيفية ما أنزل الله بها من سلطان، فجاء أبو موسى الأشعري رضي الله عنه إلى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه فقال له: (يا أبا عبد الرحمن، إني رأيت في المسجد آنفاً أمراً أنكرته، ولم أرَ والحمد لله إلا خيراً، قال ابن مسعود رضي الله عنه: فما هو؟ فقال: إن عشت فستراه، قال أبو موسى: رأيت في المسجد قوماً حلقاً جلوساً ينتظرون الصلاة في كل حلقةٍ رجلٌ وفي أيديهم حصىً فيقول: كبروا مائة، فيكبرون مائة، فيقول: هللوا مائة، فيهللون مائة، ويقول: سبحوا مائة، فيسبحون مائة، قال ابن مسعود: فماذا قلت لهم؟ قال أبو موسى: ما قلت لهم شيئاً انتظار رأيك، قال ابن مسعود: أفلا أمرتهم أن يعدوا سيئاتهم، وضمنت لهم أن لا يضيع من حسناتهم شيء؟ ثم مضى ـ ابن مسعود ـ ومضينا معه، حتى أتى حلقة من تلك الحلق، فوقف عليهم فقال: ما هذا الذي أراكم تصنعون؟ قالوا: يا أبا عبد الرحمن حصىً نعدُّ به التكبير والتهليل والتسبيح، قال: فعدوا سيئاتكم فأنا ضامنٌ أن لا يضيع من حسناتكم شيءٌ، ويحكم يا أمة محمد! ما أسرع هلكتكم، هؤلاء صحابة نبيكم ﷺ متوافرون، وهذه ثيابه لم تبل، وآنيته لم تُكسر، والذي نفسي بيده إنكم لعلى ملة هي أهدى من ملة محمد أو مُفْتتحو باب ضلالةٍ؟! قالوا: والله يا أبا عبد الرحمن ما

---

(١) **صحيح**: مي: (٢٠٥)، طب: (٩/ ١٥٤)، هب: (٢/ ٤٠٧)، [«مجمع الزوائد» (١/ ٤٣٤)].

(٢) البيهقي في «المدخل إلى السنن» (١٩١).

أردنا إلا الخير، قال: وكم من مريد للخير لن يصيبه! إن رسول الله ﷺ حدثنا: «أن قوماً يقرأون القرآن لا يُجاوز تراقيهم».

وأيم الله ما أدري لعل أكثرهم منكم! ثم تولى عنهم. في النهاية يقول بعض الصحابة: فرأينا عامّة أولئك الخلق ـ الذين جلسوا يبتدعون في دين الله ـ يطاعنونا يوم النهروان مع الخوارج)(١).

البدع طريق سيء أسود نهايته موصلة إلى النار، وهي سبب للفرقة والضلال المبين فكونوا من البدع على حذر.

قال الامام مالك: (من ابتدع في الإسلام بدعةً يراها حسنة فقد زعم أن محمداً ﷺ خان الرسالة لأن الله ﷻ يقول: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣]، فما لم يكن يومئذٍ ديناً لا يكون اليوم ديناً)(٢).

البدعة في الدين جريمة منكرة، والمبتدع في دين الله مجرم، فكونوا من البدع على حذر، وكونوا من المبتدعين على حذر، وإياكم أن تجالسوهم أو تسمعوا لهم.

اعلموا أن العمل لا يقبل عند الله ﷻ يوم القيامة إلا إذا توفر فيه شرطان:

الشرط الأول: الإخلاص في هذا العمل، أي: أن تبتغي بعملك، وجه الله والدار الآخرة، فإن أخلصت في العمل ابتعدت عن الشرك والرياء.

الشرط الثاني: موافقة السنة، بأن تؤدِي عملك الذي تتقرب به إلى الله على الكيفية التي فعلها النبي ﷺ، وإن فعلت ذلك ابتعدت عن البدعة.

أمة الإسلام! اعلموا أن الذي ساعد على انتشار البدعة في الأمة الإسلامية ما يلي، لتكونوا على حذر:

---

(١) **صحيح**: مي: (٢٠٤)، [«س.ص» (٢٠٠٥)].

(٢) [«الاعتصام للإمام الشاطبي» (٢/ ٦١)].

١ ـ الجهل العام بدين الإسلام، والجهل الخاص بسنة رسول الله ﷺ وبعلم مصطلح الحديث. فكثير من المسلمين بجهلهم لا يميزون بين الحديث الضعيف والصحيح، ولا بين السنة والبدعة، فإن أردت أن تنجو من هذا فعليك بالعلم الشرعي وعليك بدراسة السنة النبوية، وعليك بكتاب الله، وعليك بأهل السنة جالسهم وتعلم على أيديهم، لتكون محباً للسنة أو لتكون ناشراً لها ومدافعاً عنها، وإن فعلت ذلك فاعلم أنك ستكون بين الناس غريب والرسول ﷺ يقول: «**بدأ الإسلام غريباً، وسيعود كما بدأ غريباً، فطوبى للغرباء**»[(١)]، فلا تستوحش من الغربة، وعليك بالسنة وإن كنت وحدك اعمل بها وعلمها الناس بالحكمة والموعظة الحسنة.

٢ ـ قلة العلماء، واتخاذ الناس رؤوساً جهالاً يسألونهم فيفتونهم بغير علم فضلوا وأضلوا، قال ﷺ: «**إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من الناس، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يَترُك عالماً اتخذ الناس رؤساً جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلُّوا وأضلُّوا**»[(٢)]، فوالله إن كثيراً من الناس يتقربون إلى الله بالبدع والخرافات لأنهم ما سألوا العلماء ولا تعلموا ولا جالسوا أهل العلم كما أمرهم الله ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣]، ولكنهم سألوا أهل الأهواء والبدع فأفتوهم بغير علم، فطافوا حول القبور وظنوا أنهم يتقربون بذلك إلى الله، وابتدعوا بدعاً في الصلاة وظنوا أنهم يتقربون بها إلى الله، واحتفلوا بمولد رسول الله وبالإسراء والمعراج وبكل مناسبة، يقلدون في ذلك اليهود والنصارى وظنوا أنهم يتقربون إلى الله. فهل سمعتم في يوم ما أو قرأتم في كتاب ما أن أبا بكر وعمر وعثمان وعلي أو أحداً من أئمة المسلمين ـ كالإمام أحمد أو الشافعي مثلاً ـ أنهم احتفلوا يوماً بمولد رسول الله؟ أو احتفلوا بالإسراء والمعراج؟ لا والله ما فعلوا ذلك، لِمَ؟ لأنهم كانوا يحتفلون

---

(١) **صحيح**: م: (١٤٥).

(٢) **صحيح**: خ: (١٠٠)، م: (٢٦٧٣).

برسول الله ﷺ في كل ثانية ومع كل نفس يخرج منهم، وهكذا يجب أن يكون المسلم، ولكننا إذا قلنا ذلك قالوا: أنتم لا تحبون رسول الله! السبب لأنهم سألوا أهل الأهواء والبدع، ولو أنهم فكروا بعقولهم واتبعوا كتاب الله، وسنة رسول الله ما صنعوا ذلك، ولكن ها نحن قد حذرناهم، وها نحن قد بينا لهم، فيا رب العالمين اشهد، اللهم قد بلغنا، اللهم فاشهد، اللهم قد بلغنا، اللهم فاشهد.

٣ ـ التقليد الأعمى للآباء ولأدعياء العلم، فكثير من الناس يبتدعون في دين الله ويتمسكون بما هم عليه من البدع إما تقليداً أعمى للآباء، وإما تقليداً أعمى للمشايخ الذين لا يفقهون شيئاً من دين الله، الذين ادَّعوا العلم، والعلمُ منهم بريء، فهذا التقليد الأعمى للغير حذر منه الإسلام مِنْ خلال القرآن والسنة.

ولكن على المسلم إذا عبد الله أن يسأل نفسه، لِمَ؟ ليكون الجواب: لله، وهذا هو الإخلاص، ويسأل نفسه، كيف؟ ليكون جوابه على سنة رسول الله، وهذه هي الموافقة للسنة.

اللهم رد المسلمين إلى دينك ردّاً جميلاً



١٩٥

المجرم التاسع ـ الظالم

عباد الله! لا زلنا في صدد الحديث عن المجرمين أصحاب النار. **وفي هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ سنتحدّث عن المجرم التاسع، أتدرون من هو يا عباد الله؟ إنه «الظالم».**

• الظالم: الذي ظلم نفسه بالكفر، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٤].

الظالم: الذي ظلم نفسه بالشرك، قال ـ تعالى ـ: ﴿لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣].

الظالم: الذي ظلم نفسه بالمعاصي ـ ما دون الشرك والكفر ـ قال تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾ [فاطر: ٣٢].

الظالم: الذي ظلم الناس باعتدائه على أموالهم أو أعراضهم أو دمائهم.

عباد الله! الكافر بالله ظالم، والمشرك بالله ظالم، وهذا النوع من الظلم لا يغفره الله أبداً إن مات صاحبه عليه، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾ [النساء: ٤٨].

وهذا النوع من الظلَّمة الذين ماتوا على الكفر والشرك لا يخرجون من النار أبداً، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢]. وقال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾﴾ [الزخرف: ٧٤ ـ ٧٦]. فبظلمهم هذا

خلدوا في النار ولا يخرجوا منها أبداً، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾﴾ [فاطر: ٣٦ ـ ٣٧].

عباد الله! أما الذي ظلم نفسه بالمعاصي دون الشرك والكفر فهذا قد عرَّض نفسه لغضب الله وسخطه وهو تحت المشيئة إن شاء الله عزّ وجلّ غفر له وإن شاء عذبه، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨]، وأما الظالم الذي اعتدى على الناس، الذي اعتدى على أموالهم وأعراضهم ودمائهم، فظلمه هذا لا يغفره الله يوم القيامة أبداً حتى يُسَامح المظلوم مَنْ ظلمه، فيوم القيامة إذا خرج الناس من قبورهم، أوقف الظالم والمظلوم أمام الجبار وهناك ترد المظالم إلى أصحابها، يقول ﷺ: «**لتؤدَّن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يُقاد للشاة الجلحاء** ـ أي: التي لا قرن لها ـ **من الشاة القرناء**»[(١)]، ويقول ﷺ: «**من اقتطع حق امرىءٍ مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار، وحرَّم عليه الجنة**»، فقال له رجل: وإن كان شيئاً يسيراً يا رسول الله؟ فقال ﷺ: «**وإن قضيب من أراك**»[(٢)]، أي: عوداً من سواك، فما بالنا بمن أكل أموال الناس واعتدى على أعراضهم؟ فما بالنا بمن اعتدى على دماء الأبرياء؟ يقول ﷺ: «**من كانت له مظلمة لأخيه من عِرضِه أو من شيءٍ فليتحللهُ منه اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم، إن كان له عمل صالح أُخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم يكن له حسنات أُخذ من سيئات صاحبه فحُمِلَ عليه**»[(٣)]، ويقول ﷺ: «**فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم بينكم حرامٌ كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا**»[(٤)].

---

(١) **صحيح**: م: (٢٥٨٢).

(٢) **صحيح**: م: (١٣٧).

(٣) **صحيح**: خ: (٢٣١٧).

(٤) **صحيح**: خ: (٦٧)، م: (١٦٧٩).

عباد الله! من كانت عنده مظلمة لأخيه فليتحلل منها اليوم قبل أن لا يكون درهم ولا دينار إنما هي الحسنات، يأخذ المظلوم، من حسناتك أيها الظالم حتى يرضى، فإن لم يَبْقَ معك حسنات أخذ المظلوم من سيئاته فوضعها عليك وحمَّلها لك وهناك قد خاب من حمل ظلماً.

• أيها الظالم! اتقِ دعوة المظلوم؛ فإن المظلوم إذا رفع يديه ودعا عليك في جوف الليل استجاب الله له، يقول ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه: «**واتقِ دعوة المظلوم، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب**»[1].

أيها الظالم! إذا دعتك قدرتك على ظلم الناس، فتذكر قدرة الله عليك.

أيها الظالم! إذا أردت أن تظلم الناس بمالك، فتذكر ماذا فعل الله بقارون.

أيها الظالم! إذا أردت أن تظلم الناس بمنصبك، فتذكر ماذا فعل الله بفرعون وهامان.

أيها الظالم! إذا أردت أن تظلم الناس بقوتك، فتذكر ماذا فعل الله بعاد.

ابن آدم!

لا تظلمنَّ إذا ما كنتَ مُقتدِراً فالظلمُ يرجِعُ عُقْباهُ إلى الندمِ
تنامُ عيناكَ والمظلومُ منتبهٌ يدعو عليكَ وعينُ اللهِ لم تنم

أيها الظالم! اعلم أن الله لا يحب الظَّلَمة، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [آل عمران: ٥٧].

أيها الظالم! اعلم أنك ملعون، قال رب العزة: ﴿أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هود: ١٨].

أيها الظالم! اعلم أنك بظلمك عرضت نفسك للهلاك والدمار، قال

---

(١) **صحيح**: خ: (٤٠٩٠)، م: (١٩).

ـ تعالى ـ: ﴿وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴿٥٩﴾﴾ [الكهف: ٥٩]، أما نظرتم إلى كثير من القرى والبلدان، وإلى الشعوب والدول التي دمرها الله، وأهلكها لأنهم ظلموا، ظلموا أنفسهم بالكفر والشرك، وظلموا أنفسهم بالمعاصي واعتداء القوي منهم على الضعيف، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ﴾ [القصص: ٥٩]، فليحذر الظالم ولا يغترّ بأنه كلما ظلم ازداد مالاً ومنصباً وصحة، ولا يظننّ أَن الله يحبه، وليعلم أن هذا استدراج من الله للظالمين، يقول ﷺ: «**إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته**»، قال: ثم قرأ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾»[1] [هود: ١٠٢]، أما نظرتم كيف أخذ الله القرى وهي ظالمة؟ فاعتبروا يا أُولي الأبصار.

عباد الله! ولعلنا نسمع العجب، فهذا رجل ينصب على الناس بالآلف بل بملايين الدنانير ثم يهرب إلى الخارج، أنسي أن الله له بالمرصاد؟!

وهذا ظالم يعتدي على الناس بمنصبه، وجاهه، وسلطانه، أنسي هذا المسكين أن الله له بالمرصاد؟! ثم وإن امتلك الناس بماله وقوته أنسي أنه لا يستطيع أن يمتلك ألسنة المظلومين التي تلهج بالدعاء عليه في جوف الليل؟!

أيها الظالم! اعلم أن الله توّعد الظلمة بعذاب أليم في الدنيا والآخرة، يقول الله ﷻ في كتابه: ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٧]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾﴾ [الكهف: ٢٩].

الظالم في الدنيا عرض نفسه بظلمه للهلاك، فكم من ظالم قصم الله ظهره؟!

---

(١) **صحيح**: خ: (٤٤٠٩)، م: (٢٥٨٣).

الظالم إذا نام في فراش الموت نزلت عليه الملائكة بالعذاب الأليم قبل أن تخرج روحه، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأنعام: ٩٣].

ويوم القيامة: إذا خرج الظلمة من قبورهم نادى منادٍ: أن قد خاب من حمل ظلماً، عندها يعض الظالم على يديه في وقت لا ينفع فيه الندم، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾﴾ [الفرقان: ٢٧].

عباد الله! هدد الله الظلمة في كتابه وحذّرهم من الظلم، فنقول للذين يظلمون الناس ليلاً نهاراً: إنَّ الله لا يغفل عما تعملون.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴿٤٣﴾ وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ ۗ أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴿٤٤﴾ وَسَكَنتُمْ فِى مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾ وَقَدْ مَكَرُوا۟ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴿٤٦﴾﴾ [إبراهيم: ٤٢ ـ ٤٦].

عباد الله! الظلم جريمة، والظالم مجرم، فاحذروا عباد الله أن تكونوا من الظالمين، وأن تتورطوا في الظلم، وأن تعتدوا على أموال الناس أو أعراضهم أو دمائهم.

ابن آدم: القَ الله يوم القيامة مظلوماً، وإياك أن تلقَ الله ظالماً، فالله ﷻ ينتقم منك يوم القيامة ويأخذ للمظلوم حقه منك؛ فالله حرم الظلم فهو حرام إلى يوم القيامة، يقول الله ﷻ في الحديث القدسي:

«**يا عبادي، إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرَّماً، فلا تظالموا..**»[١]، ويقول ﷺ: «**اتقوا الظلم؛ فإن الظلم ظلمات يوم القيامة**»[٢].

احذر يا ابن آدم أن تظلم أولادك، فكثير من الآباء ظالم لأولاده؛ لأنه لا يعلِّمهم دين لله، لأنه يأتيهم بمال حرام، لأنه قد جار في الوصية فأعطى للأولاد وحرم الإناث، أو أعطى للكبار وحرم الصغار، أو أعطى أولاد الزوجة الجديدة وحرم أولاد القديمة، وكل هذا جور وظلم.

احذر أن تكون ظالماً لجيرانك.

احذر أن تكون ظالماً لِمنْ تحت يدك من الموظفين.

احذر أن تكون ظالماً للناس غاشًّا لهم في البيع والشراء.

احذر أن تكون ظالماً كافراً بالله ﷻ.

أيها الإخوة: وبعدما سمعنا ما هو موقفنا نحو الظالم والمظلوم؟ يقول ﷺ: «**انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً**»، فقال رجل: يا رسول الله أنصُرُه إذا كان مظلوماً أفرأيت إن كان ظالماً كيف أنصُرُه؟ قال: «**تحجزهُ أو تمنعه من الظلم فإن ذلك نَصْرُه**»[٣].

فيا عبد الله! إذا وجدت ظالماً يريد أن يظلم فامنعه عن ظلمه بكل ما تملك من قوة واجعل همّك أن تمنع هذا الظالم من أن يتورط في الظلم، وذلك بالكلمة، بالنصيحة، بالقوة، المهم حجزه عن ظلمه، وإن وجدت مظلوماً وأيقنت أنه قد ظُلم فيجب عليك أن تقف بجواره، وأن ترفع عنه الظلم إما بمالك، وإما بجاهك، وإما بمنصبك، فيوم القيامة تجد لنفسك ثواباً عظيماً عند الله بذلك، ولعلّ كثيراً من الناس إن رأى ظالماً

---

(١) **صحيح**: م: (٢٥٧٧).
(٢) **صحيح**: م: (٢٥٧٨).
(٣) **صحيح**: خ: (٦٥٥٢).

أعانه على ظلمه، وإن رأى مظلوماً قَضَىٰ عليه، فما الذي أصابنا؟! الواجب علينا إن وجدنا ظالماً أن نمنعه من الظلم، وإن وجدنا مظلوماً أن نرفع عنه الظلم.

أمة الإسلام! الظلم ظلمات يوم القيامة، فكونوا من الظلم على حذر وإياك يا عبد الله أن تظلم إنساناً في الدنيا.

أسأل الله العظيم رب العرش العظيم

أن ينجينا وإياكم من الظلم



١٩٦

المجرم العاشر ـ شارب الخمر

عباد الله! لا زلنا في صدد الحديث عن المجرمين أصحاب النار، **وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع المجرم العاشر، أتدرون من هو يا عباد الله؟ إنه «شارب الخمر»**.

شارب الخمر مجرم في حق نفسه، شارب الخمر مجرم في حق أهله ومن حوله، شارب الخمر مجرم في حق مجتمعه.

عباد الله! شارب الخمر مجرم في حق نفسه، لأنه إذا شرب الخمر، فإنه بذلك:

أولاً: يكون قد عرض نفسه للعنة الله، يقول ﷺ: «**لعن الله الخمر، وشاربها، وساقيها، وبائعها، ومبتاعها، وعاصرها، ومعتصرها، وحاملها، والمحمولة إليه، وآكل ثمنها**»[(١)]. فانظروا عباد الله شارب الخمر ملعون هو ومن اقترب من الخمر، فالله عزّ وجلّ لعن الخمر وشاربها ومن يسقيها، ومن يبيعها ومن يشتريها ملعون، ومن عصرها ملعون، ومن عُصرت له ملعون، ومن حملها ملعون، ومن حملت إليه ملعون، ومن أكل ثمنها ملعون، فشارب الخمر مجرم لأنه بشربه للخمر عرض نفسه لسخط الله فهو ملعون.

ثانياً: لا تقبل صلاة شاربها أربعين يوماً، يقول ﷺ: «**الخمر أمُ الخبائث فمن شربها لم تقبل صلاته أربعين يوماً، فإن مات وهي في بطنه مات ميتةً جاهلية**»[(٢)].

---

(١) **صحيح**: د: (٣٦٧٤)، حم: (٢/ ٩٧)، ك: (٢/ ٣٧)، طس: (٨/ ١٦)، طص: (٢/ ٤٥)، ع: (٩/ ٤٣١)، هق: (٥/ ٣٢٧)، [«ص.ج» (٥٠٩١)].

(٢) **حسن**: قط: (٤/ ٢٤٧)، طس: (٤/ ٨١)، [«ص.ج» (٣٣٤٤)].

ثالثاً: لأنه بشربه للخمر لن يدخل الجنة مع الداخلين، يقول ﷺ: «**ثلاثة لا يدخلون الجنة أبداً: الديوث، والرجلة من النساء، ومدمن خمر**»(١).

رابعاً: شارب الخمر في الدينا يشرب في النار يوم القيامة من طينة الخبال، يقول ﷺ: «**إن على الله عهداً لمن يشرب المسكر، أن يسقيه من طينة الخبال**» قالوا: يا رسول الله، وما طينة الخبال؟ قال: «**عرقُ أهل النار أو عصارة أهل النار**»(٢).

خامساً: شارب الخمر مجرم في حق نفسه، لأنه إذا شرب الخمر ذهب عنه نور الإيمان، يقول ﷺ: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشرب وهو مؤمن**»(٣)، وقال ﷺ: «**من زنا أو شرب الخمر نزع الله منه الإيمان كما يخلعُ الإنسان القيمص من رأسه**»(٤).

فشارب الخمر مجرم في حق نفسه، لأنه عرض نفسه لسخط الله، ولغضب الله ولعذاب الله وهو قد تعدّى حدود الله، وهو قد من يتعدَ حدود الله فقد ظلم نفسه، شارب الخمر تعدى على نعمة العقل فأذهبها بشربه للخمر فنزل بنفسه إلى منزلة الحيوان بل أضل.

عباد الله! شارب الخمر مجرم في حق أهله ومن حوله، لأنه إذا شرب الخمر غاب عقله فزنا بأمه وأخته وعمته وخالته، يقول ﷺ: «**الخمر أم الفواحش وأكبر الكبائر من شربها وقع** ـ أي زنا ـ **على أمه وخالته وعمته**»(٥).

---

(١) **صحيح لغيره**: هب: (٧/ ٤٢١)، [«ص.غ.هـ» (٢٠٧١)].

(٢) **صحيح**: م: (٢٠٠٢).

(٣) **صحيح**: خ: (٢٣٤٣)، م: (٥٧).

(٤) **ضعيف**: ك: (١/ ٧٣)، [«ض.ج» (٥٦١٠)].

(٥) **حسن**: قط: (٤/ ٢٤٧)، طب: (١١/ ١٦٤)، طس: (٣/ ٢٧٦)، [«ص.ج» (٣٣٤٥)].

ولعلنا نسمع بذلك يا عباد الله، فهذا رجلٌ شرب الخمر فزنا بابنته! وهذا شرب الخمر فزنا بعمّته! وهذا شرب الخمر فزنا بخالته! وهذا شرب الخمر فزنا بزوجة أخيه! فهذا شرب الخمر فزنا بأخت زوجته!

فشارب الخمر حيوان مفترس لا يحل حلالاً ولا يحرم حراماً، فهو يضر بأهله وبمن حوله، والأُسر التي ابتليت برجل يشرب الخمر يعلمون ما أقول، فلو أنني أُخبركم بما يأتينا عبر الهاتف من الأسئلة لدهشتم، ووالله إن هناك نساءٌ يتمنين لأزواجهن الموت، لأنه يأتي آخر الليل مخموراً لا يميز بين زوجته وابنته، وإحداهنّ لا تنام طوال الليل تخاف على بناتها من أبيهن الذي يعود سكران إلى البيت! فإنا لله وإنا إليه راجعون.

عباد الله! شارب الخمر مجرم في حق مجتمعه أيضاً لأنه إذا شرب الخمر زنا بأقرب الناس إليه، ولأنه إذا امتلك سلاحاً وهو مخمور قتل أعز أصدقائه، وقتل أقرباءه، وأظن أننا جميعاً نسمع ونقرأ عَمَّن كان سكران فقتل زوجته، أو كان سكران فقتل أولاده، أو كان سكران فقتل أصدقائه وأعز الناس إليه!!

• شارب الخمر إذا ركب سيارته أضرَّ بمن حوله من المسلمين، ولقد جاء عن عثمان رضي الله عنه أنه قال: (كان رجلٌ فيمن كان قبلكم متعبداً زاهداً، فعلقت به امرأة بغي، فأرسلت إليه جاريةً لها تدعوه للشهادة فتبعها حتى انتهت إلى بيتٍ، فطفقت كلما دخل باباً أغلقته حتى وجد نفسه أمام امرأة وضيئة ـ أي: حسناء جميلة ـ فقالت المرأة له إنها ما دعته إلى شهادة، وإنما دعته إلى إحدى ثلاث: أن يقع عليها، أو يقتل غلاماً عندها، أو يشرب الخمر، وفكر الراهب فظن أن أقل الثلاثة جرماً الخمر فقال: اسقيني فسقته، فقال زيدوني، فزادته، فقال: زيدوني فزادته حتى عملت فيه الخمر فقام الراهب السكران، فقتل الغلام، ووقع على المرأة، فقال عثمان رضي الله عنه: فاجتنبوا الخمر، إنها أم الخبائث، وإنها لا تجتمع هي

والإيمان في قلب إلا أخرج أحدهما الآخر)[(١)].

عباد الله! الخمر هي أم الفواحش، وهي أم الخبائث، وهي مفتاح كل شر، فشارب الخمر يضر بنفسه وأهله ومجتمعه، ولذلك قال طبيب ألماني: (اغلقوا لي نصف الخمارات أضمن لكم إغلاق نصف المستشفيات ونصف السجون)، وصدق والله، اذهبوا إلى المستشفيات واسألوا كم فيها من المرضى بسبب الدخان والخمر؟ واذهبوا إلى السجون واسألوا كم فيها من المسجونين الذين ارتكبوا الجرائم بسبب الخمر فأدخلوا السجن؟ لتعلموا أن شارب الخمر مجرم في حق مجتمعه.

من أجل ذلك يا أمة الإسلام جاء الإسلام يحرم الخمر تحريماً مؤبداً إلى يوم القيامة، فالخمر حرام حرمها الله في كتابه، وحرمها رسول الله ﷺ في سنته، وأجمعت الأمة سلفاً وخلفاً على تحريمها.

• فمن الأدلة في كتاب الله على تحريم الخمر، قول الله ﷻ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَـٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَـٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾﴾ [المائدة: ٩٠، ٩١]. وفي هذه الآية حرم الله الخمر من وجوه ثمانية:

الوجه الأول: وصفها بأنها رجس، فهي حرام.

الوجه الثاني: وصفها بأنها من عمل الشيطان، فهي حرام.

الوجه الثالث: قال سبحانه: ﴿فَٱجْتَنِبُوهُ﴾، وهذا أمر، والأمر يفيد الوجوب.

الوجه الرابع: قال سبحانه: ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾، فعلّق الفلاح في الدنيا والآخرة بترك الخمر.

---

(١) **صحيح موقوف:** ن: (٥٦٦٦)، حب: (٥٣٤٨)، عب: (٢٣٦/٩)، وقد تقدم تخريجه في خطبة: «الخمر أم الفواحش...».

الوجه الخامس: وصفها بأنها توقع العداوة والبغضاء، فهي حرام.

الوجه السادس: وصفها بأنها تصد عن ذكر الله، فهي حرام.

الوجه السابع: وصفها بأنها تصد عن الصلاة، فهي حرام.

الوجه الثامن: قال سبحانه: ﴿**فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ**﴾؟ وهذا استفهام للردع والزجر.

ولما قال رب العزة: ﴿**فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ**﴾، قال الصحابة جميعاً: انتهينا ربنا.

• وفي سنة رسول الله، كذلك جاء تحريم الخمر، قال ﷺ: «**كل مسكر خمر، وكل خمر حرام**»(١)، وقال ﷺ: «**ما أسكر كثيره فقليله حرام**»(٢)، وقال ﷺ: «**كل شراب أسكر فهو حرام**»(٣)، فمن سكر بالخمر، أو بالحبوب، أو بالحشيش أو بأي نوع من أنواع المسكر فهو خمر وهو حرام.

ويقول ﷺ: «**ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الحِر ـ أي: الزنا ـ والحرير، والخمر، والمعازف**»(٤)، فهذا دليل على تحريم الخمر وقال ﷺ: «**يشرب ناس من أمتي الخمر يسمونها بغير اسمها**»(٥)، يظنون أنهم بتغير الاسم يُمكن لهم أن يستحلوا الخمر! ولكنهم ومهما أطلقوا عليها من أسماءٍ فهي خمر وهي حرام.

عباد الله! أجمعت الأمة الإسلامية سلفاً وخلفاً على تحريم الخمر، ومن استحله ـ أي: شربه مستحلاً له معتقداً حِلّه ـ، فهو خارج عن ملة

---

(١) **صحيح**: م: (٢٠٠٣).
(٢) **صحيح**: د: (٣٦٨١)، ت: (١٨٦٥)، ن: (٥٦٠٧)، هـ: (٣٣٩٣)، حم: (٢/ ١٦٧)، ك: (٣/ ٤٦٦)، [«ص.ج» (٥٥٣٠)].
(٣) **صحيح**: خ: (٢٣٩)، م: (٢٠٠١).
(٤) **صحيح**: خ: (٥٢٦٨).
(٥) **صحيح**: ن: (٥٦٥٨)، لس: (٥٨٦)، [«ص.ج» (٨٠٩٢)].

الإسلام إذا مات وهو مستحلٌ لشرب الخمر، فلا يغسل ولا يكفن ولا يصلى عليه ولا يدفن في قبور المسلمين.

عباد الله! شرب الخمر جريمة نكراء، وشارب الخمر مجرم في حق نفسه، وفي حق أولاده، وفي حقّ مجتمعه؛ لأن الخمر هي أم الفواحش، وهي أم الخبائث، وهي من أكبر الكبائر، وهي مفتاح لكل شر، فيجب على المسلمين أن يتقوا الله في أنفسهم وفي أولادهم ونسائهم، وأن يبتعدوا عن الخمر وعن شرب الخمر استجابة لقوله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾﴾ [النور: ٥١]. ولقوله ﷺ: «**فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه**»[١]، فيجب على المسلمين أن يبتعدوا عن الخمر وعن شارب الخمر، وللأسف الشديد ترى بعضاً ممن يصلون يشربون الخمر، وللأسف الشديد ترى بعضاً ممّن يصلون إذا جاءه ضيف من بلاد الكفر قدم له الخمر مع الطعام، وترى بعضاً ممّن يصلون إذا أقام عرساً لابنه أو لابنته قام بتوزيع الخمر لأن من المدعوين من يرضى عنه إذا سقاه الخمر.

أمة الإسلام! أما سمعتم وقرأتم عن الخمر، وماذا فعلت في المجتمعات؟! أما يكفيكم أن من اقترب منها فهو ملعون، وأن من عرض نفسه للعنة الله خسر الدنيا والآخرة وذلك هو الخسران المبين؟!.

ولا بد من الانهاء والقضاء على جريمة الخمر ليعود للمجتمع أمنه، فليتق الله أولياء الأمور، وليتقِ الله الذين يؤجرون محلاتهم التجارية للخمارات، وليتقِ الله الذين يوقعون بالموافقة على ترخيص الخمارات، وليتقِ الله الموظف الذي يحمل الخمر من مكان إلى آخر، وليتقِ الله الذي يجمع الزجاجات الفارغة ويقوم ببيعها للخمارات.

وها هم الصحابة ﭫ كان منهم من يشرب الخمر ولا يستغني عنه

---

(١) **صحيح**: خ: (٦٨٥٨)، م: (١٣٣٧).

حتى صار كالطعام والشراب وذلك قبل تحريم الخمر، ولكن انظروا ماذا فعلوا عندما حرمت الخمر، لما نزلت الآية التي حرم الله فيها الخمر تحريماً أبدياً فقالوا جميعاً: انتهينا ربنا.

• وقد جاء في الحديث عن عمر رضي الله عنه أنه لما سمع هذه الآية ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾؟ قال: (انتهينا انتهينا)[١].

• ويقول أنس بن مالك: (كنت أسقي أبا طلحة الأنصاري وأبا عبيدة بن الجراح وأُبيّ بن كعب شراباً من فضيخ وهو تمر، فجاءهم آتٍ فقال: إن الخمر قد حُرِّمت، فقال أبو طلحة: يا أنس قُمْ إلى هذه الجِرار فاكسرها، قال أنس: فقمت إلى مهراسٍ لنا فضربتها بأسفله حتى انكسرت)[٢]، والله! ما قالوا حتى ننتظر ونسمع، ما قالوا: حتى نفرغ، ما قالوا: حتى نجتهد على أنفسنا.

• وعن أنس بن مالك أن أبا طلحة سأل النبي ﷺ عن أيتام ورثوا خمراً فقال ﷺ: «أهرِقْها»، قال: أفلا أجعلها خلّاً؟ قال ﷺ: «لا»[٣].

• وجاء رجلٌ إلى النبي ﷺ يسأله عن الخمر، فنهاه، فقال الرجل: إني أصنعها للدواء، فقال ﷺ: «**إنه ليس بدواء، ولكنه داء**»[٤].

فيا أمة التوحيد! متى نعود لديننا؟ متى نستيقظ من غفلتنا؟ متى نبتعد عن الذين يشربون الخمر؟ اتقوا الله في أنفسكم، اتقوا الله في أولادكم، فالولد يبدأ بشرب الدخان، ثم يبدأ بأخذ الحبوب، ثم يدمن الخمر، وعندها تعض على أصابع الندم، وللأسف الشديد، فإن هناك حتى من

---

(١) **صحيح**: د: (٣٦٧٠)، ت: (٣٠٤٩)، ن: (٥٥٤٠)، حم: (١/ ٥٣)، ك: (٤/ ١٥٩)، طس: (٢/ ١٢٥)، [«ص.ت» (٢٤٤٢)].

(٢) **صحيح**: خ: (٦٨٢٦)، م: (١٩٨٠).

(٣) **صحيح**: د: (٣٦٧٥)، حم: (٣/ ١١٩)، ع: (٧/ ١٠٥)، هق: (٦/ ٣٧)، [«مشكاة المصابيح» (٣٦٤٩)].

(٤) **صحيح**: م: (١٩٨٤).

النساء من تشرب الدخان وتشرب الخمر، بل وهناك من الأسر من يضعون الخمر على مائدة الطعام، فيتناول الخمر مع الطعام كلّ من الرجل والمرأة والأولاد، فيسكر الكل ويتحول البيت إلى حديقة حيوانات لا يحلون حلالاً، ولا يحرمون حراماً، فهل يليق هذا بأمة الإسلام؟!

اللهم قد بلغت اللهم فاشهد.

اللهم رد المسلمين إلى دينك ردّاً جميلاً



١٩٧

المجرم الحادي عشر ـ تارك الصلاة

عباد الله! الناس يوم القيامة فريقان: مجرم، ومؤمن، فالمجرم إلى النار، والمؤمن إلى الجنة، المجرمون غداً في النار يلتهبون، والمؤمنون في دار الخلد يسكنون، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾﴾ [طه: ٧٤، ٧٥].

المجرمون يوم القيامة إذا رأوا النار علموا وأيقنوا أنها ما جاءت إلا لهم، وما أعدت إلا لهم، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا۟ عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾﴾ [الكهف: ٥٣].

عباد الله! لا زلنا في صدد الحديث عن المجرمين أصحاب النار، **وفي هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ نتحدّث عن المجرم الحادي عشر، أتدرون من هو يا أمة الإسلام؟ إنه «تارك الصلاة».**

تارك الصلاة مجرم يعترف بجرمه وهو في نار جهنم، قال ـ تعالى ـ: ﴿كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِى جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾﴾ [المدثر: ٣٨ ـ ٤٣].

عباد الله! تارك الصلاة جحوداً لها وإنكاراً لفرضيتها كافر خارج عن ملة الإسلام، يحل دمه وماله وعرضه، وإذا مات لا يغسل ولا يكفن، ولا يصلى عليه ولا يدفن في مقابر المسلمين.

- ومن ترك الصلاة تكاسلاً وتهاوناً مع الإقرار بها، ومع الإيمان بفرضيتها فهو على خطر عظيم ولكنه تحت المشيئة إن شاء الله عذبه، وإن شاء

غفر له، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء: ٤٨]. وقال ﷺ: «**خمس صلوات كتبهن الله على العباد، فمن جاء بهن لم يضيع منهن شيئاً استخفافاً بحقهن كان له عند الله عهدٌ أن يدخله الجنة، ومن لم يأت بهن فليس له عند الله عهدٌ إن شاء عذبه وإن شاء أدخله الجنّة**»(١).

أمة الإسلام! إذا نظرنا إلى كثير من المسلمين في هذا الزمان وجدنا أن كثيراً منهم ترك الصلاة وضيعها وأظن أن كثيراً ممن يصلون معنا قد ترك أحدهم زوجته في البيت لا تصلي، وترك ابنه لا يعرف الصلاة ولا المساجد.

ولذلك نقول من باب النصيحة، هذه رسالة نوجهها إلى كل تاركٍ للصلاة، فنقول وبالله التوفيق:

● يا تارك الصلاة! النار النار احذر النار! فالله ﷻ يقول مهدداً: ﴿مَا سَلَكَكُمۡ فِي سَقَرَ ٤٢ قَالُواْ لَمۡ نَكُ مِنَ ٱلۡمُصَلِّينَ ٤٣﴾ [المدثر: ٤٢، ٤٣]. ويا تارك الصلاة: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا سَقَرُ ٢٧ لَا تُبۡقِي وَلَا تَذَرُ ٢٨ لَوَّاحَةٞ لِّلۡبَشَرِ ٢٩ عَلَيۡهَا تِسۡعَةَ عَشَرَ ٣٠﴾ [المدثر: ٢٧ ـ ٣٠].

● يا تارك الصلاة! العذاب العذاب! فلقد قال ـ تعالى ـ: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ٥٩﴾ [مريم: ٥٩]، هؤلاء الذين تركوا الصلاة واتبعوا الشهوات ماذا أعددت لهم يا ربنا؟ فسوف يلقون غيّاً، وقال ـ تعالى ـ: ﴿فَوَيۡلٞ لِّلۡمُصَلِّينَ ٤ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ ٥﴾ [الماعون: ٤، ٥].

● يا من تركت الصلاة متعمداً، لقد برئت منك الذمة!! أي: لا عهد لك عند الله، يقول ﷺ لأبي الدرداء رضي الله عنه: «**لا تشرك بالله شيئاً وإن قُطعت وحُرِّقت، ولا تترك صلاة مكتوبة متعمداً فمن تركها متعمداً برئت منه الذمة**»(٢).

---

(١) **صحيح**: د: (١٤٢٠)، ن: (٤٦١)، مي: (١٥٧٧)، عب: (٣/ ٥)، ش: (٢/ ٩١)، [«ص.ج» (٣٢٤٣)].

(٢) **صحيح**: هـ: (٤٠٣٤)، خد: (١٨)، [«ص.ج» (٧٣٣٩)].

• يا تارك الصلاة، أنسيت أن بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة؟!، يقول ﷺ: «**إن بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة**»(١)، ويقول ﷺ: «**العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر**»(٢)، ونقول كما قلنا آنفاً: من تركها منكراً وجاحداً لفرضيتها فقد كفر كفراً أكبر وسيخلّد في نار جهنم لا يخرج منها أبداً. وأمّا من تركها متكاسلاً متهاوناً وهو مقرٌ بها فنقول: هذا كفر دون كفر، وهو تحت المشيئة إن شاء الله عذبه وإن شاء غفر له، ولكنه على خطر عظيم.

• يا تارك الصلاة! أنسيت أن من ترك صلاة واحدة كان كمن خسر ماله وأهله؟! فانظروا عباد الله إلى حسرة هذا الرجل، وإلى خسارة هذا الرجل الذي رجع إلى بيته فوجد النار قد أحرقت ماله وأولاده وزوجته كم يتألّم وكم يتحسّر؟! وكم تكون مقدار خسارته؟! فمن ترك صلاة واحدة كان كمن خسر أهله وماله، يقول ﷺ: «**من فاتته العصر فكأنما وُتِرَ أهله وماله**»(٣)، فما بالنا بمن ترك كل الصلوات وضيعها؟! فما بالنا بمن لا يعرف المسجد إلا في يوم الجمعة؟! لقد خسر أولئك خسارة ما بعدها خسارة، وسيعلم أحدهم نبأ ذلك بعد حين، وسيندم في وقت لا ينفع فيه الندم.

• يا تارك الصلاة! أنسيت أن أول شيء ستُسْأَلُ عنه يوم القيامة من عملك هو الصلاة؟! يقول ﷺ: «**إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته، فإن صلحت فقد أفلح وأنجح، وإن فسدت فقد خاب وخسر**»(٤)، أتدرون لِمَ ينجح إذا صلحت الصلاة؟! لأنه سيرث الجنة،

---

(١) **صحيح**: م: (٨٢).

(٢) **صحيح**: ت: (٢٦٢١)، ن: (٤٦٣)، هـ: (١٠٧٩)، حم: (٥/٣٤٦)، حب: (١٤٥٤)، ك: (١/٤٨)، قط: (٢/٥٢)، ش: (٦/١٦٧)، [«ص. ج» (٤١٤٣)]

(٣) **صحيح**: خ: (٥٢٧)، م: (٦٢٦).

(٤) **صحيح لغيره**: ت: (٤١٣)، ن: (٤٦٥)، ش: (٧/٢٧٦)، [«ص.غ.هـ» (٥٤٠)].

وهل تدرون لم الخسران إذا فسدت الصلاة؟ لأنه سيؤخذ به إلى النار.

• يا تارك الصلاة! أنسيت أن الذي أمرك بالصلاة هو الله ﷻ، قال ـ تعالى ـ: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾﴾ [البقرة: ٢٣٨]. أيأمرك الله يا ابن آدم بالمحافظة على الصلاة وأنت تبارزه بتضييع الصلاة؟!.

• يا تارك الصلاة! أنسيت أن الصلاة هي الركن الثاني من أركان الإسلام؟! يقول ﷺ: «**بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة...**»(١).

• يا تارك الصلاة! أنسيت أن الصلاة عمود الدين؟! يقول ﷺ: «**رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد...**»(٢).

• يا تارك الصلاة! أنسيت أن الصلاة صلة بينك وبين الله، وأن من ترك الصلاة فقد قطع الصلة بينه وبين ربه؟! يقول الله ﷻ في الحديث القدسي: «**قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ولعبدي ما سأل، فإذا قال العبد: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾﴾، قال الله تعالى: حمدني عبدي، وإذا قال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، قال الله ـ تعالى ـ: أثنى علي عبدي، فإذا قال: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾﴾، قال الله: مجدني عبدي ـ وقال مرة: فوض إليَّ عبدي ـ فإذا قال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾، قال الله: هذا بيني وبين عبدي، ولعبدي ما سأل، فإذا قال: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾﴾، قال الله: هذا لعبدي، ولعبدي ما سأل**»(٣).

يا أمة الإسلام! لم يبقَ لنا من ديننا إلا الصلاة ويوم أن تركنا

---

(١) **صحيح**: خ: (٨)، م: (١٦).

(٢) **صحيح لغيره**: ت: (٢٦١٦)، حم: (٥/ ٢٣١)، عب: (١١/ ١٩٤)، [«ص.غ.هـ» (٢٨٦٦)].

(٣) **صحيح**: م: (٣٩٥).